M

جامعة ابن خلدون-تيارت
University Ibn Khaldoun of Tiaret

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
Faculty of Humanities and Social Sciences
قسم علم النفس والفلسفة والأورطفونيا
Department of Psychology, Philosophy, and Speech Therapy

مذكرة مكملة لنيل شهادة ماستر الطور الثانيل.م.د
تخصص فلسفة عربية إسلامية

العنوان

صراع القومية الوطنية والفلسفة اليهودية
عبد الوهاب المسيري أنموذجا

إعداد الطالبة:
- حيداري سمية

إشراف:
د. رمضاني حسين

لجنة المناقشة

الأستاذ (ة)	الرتبة	الصفة
د.بن ناصر الحاجة	أستاذ محاضر أ	رئيسا
د.رمضاني حسين	أستاذ محاضر –أ-	مشرفا ومقررا
د.أحمد بوعمود	أستاذ محاضر أ	مناقشا

الموسم الجامعي: 2023/2022

الشكر والعرفان

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنتهدي لولا أن هدانا الله

والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد:

أتقدم بالشكر الجزيل وخالص العبارات والإمتنان والتقدير للأستاذ المشرف

"رمضاني الحسين"

الذي تفضل بالقبول لإشراف على هذه الدراسة ولم يبخل علي بمعارفه العلمية القيمة وتوجيهاته المنهجية الجلية والمفيدة طيلة فترة الإنجاز هذه المذكرة وفترة الدراسة الجامعية

والشكر الوافر إلى والدي وإخوتي وأساتذة جامعة العلوم الإجتماعية وبالأخص الفلسفة الإسلامية العربية

والشكر الموصول لكل من أسهم معي من قريب أو من بعيد في إخراج هذا العمل.

الإهداء:

الحمد لله حمدا كثيرا يوافي نعمه ويكافئ مزيده نحمد حمد الشاكرين ونصلي على من بعث رحمة للعالم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما:

إلى ينبوع الذي لا يمل العطاء إلى من كان إرضائها زاد لي في الحياة ودعواتها نورا للطريق إلى من حاكت سعادتي خيوط منسوجة من نسيج قلبها.

"أمي الحنونة"

إلى الذي سعى وشقى لأنعم بالراحة والهناء إلى الذي لم يبخل شيئا من أجل دفعي إلى طريق السعادة إلى من علمني معنى الحياة وكيف أرتقي سلمها بالحكمة والصبر والكد والجد.

"أبي الغالي"

إلى من حبه يجري في عروقي يسير بذكرهم قلبي إلى رصيدي في الحياة

"إخوتي الأعزاء"

إلى نبع الوفاء إلى من سطرت معهم على جدران الزمن أجمل الذكريات

"صديقتي"

إلى من كانوا كالشمعة يحترقون من أجل أن ينيروا لي الطريق إلى من علمني حرفا

"أساتذتي الكرام"

إلى كل طلبة السنة الثانية ماستر علوم اجتماعية وبالأخص طلبة الفلسفة أهدي إليهم جميعا هذا العمل المتواضع.

مقدمة

مقدمة:

بعد معركة بيروت المجيدة، والمذبحة الدموية التي أعقبتها وبعدما اتضحت الأبعاد المواجهة بين الصهيونية العالمية ممثلة في الإمبريالية الغربية وبين الاتجاهات القومية العربية المنتشرة عبر ربع الوطن العربي من بداية النهضة العربية بداية القرن الثامن عشر 18 م، وقد أصبح من الثبات أن المخطط الصهيوني لا يستهدف أرض الفلسطينية فحسب أو حتى الشعب الفلسطيني. ولذا يمكن القول أن هذه الدراسة البحثية حول الحركة الصهيونية أو ما يسمى باللوبي اليهودي وقيامه بانتهاكاته الدموية ضد الشعوب العربية تصدر المشهد السياسي العالمي خصوصا وعد بلفور ثم الحرب العالمية الثانية، حيث تقوم كل الأطراف بلم شمل وإعادة الحسابات حتى تستعد للمعركة القادمة فهذه الدراسة تحاول أن تركز على بعض الجوانب من الصهيونية كأن تركز على الجوانب التنظيمية والاجتماعية والثقافية وغيرها من الجوانب التي ترتبط بالبعد التنظيمي للحركة كالبنية الدينية والإقتصادية للمجموعات اليهودية.

لماذا هذا الموضوع بالذات؟..سبب إختيارنا لهذا الموضوع هو رغبة منا لتعرف وإكتشاف المزيد من المعارف عن الصهيونية واليهودية عند عبد الوهاب المسيري وأهم المحطات التي إجتازها في فكره ومسيرته العلمية.

لماذا يرتبط تاريخ الصهيونية بالقومية العربية؟.. هذا ما سنحاول تناوله في مذكرتنا، إذ ماهية رؤية الصهيونية للقويمة وإنعكاساتها على المحطات والمشروعات الصهيونية المطروحة لتفتيت القضية، وقد توصلت هذه الرؤية باعتبار العربي كيانا مغيبا ويجب تغييبه وأن القومية العربية هي الرابطة الزائفة وخدعة تم في المقابل إستحداث اليهودية كمفهوم مقابل لإدعاء أحقيتها في الأرض، وإستطاعت هذه الرؤية التي تقوم على التجزئة.

لماذا عبد الوهاب المسيري؟..

من هنا ولد هذا التأثير والتأثر على شعوب العالم عامة وعلى الإسلام خاصة ردود أفعال كبيرة وانتفاضات فكرية تمخضت عنها كثير من الآراء والأفكار عبر عنها جمع كبير من العلماء والمفكرين المبرزين، ويعتبر دكتور عبد الوهاب المسيري واحد من أهم المفكرين البارزين الذين كان لهم أثر بالغ في صناعة الوعي الشباب والمثقفين لأهمية بحثها من خلال موسوعته عن اليهود واليهودية والصهيونية، منهجا جديدا في الدراسات الجماعات اليهودية وتاريخ الحركة الصهيونية وجهوده في تصحيح مسار الفكر العربي الإسلامي والقومية العربية.

إشكالية البحث:

يهدف هذا البحث إلى الإجابة عن الإشكالات الآتية:

- ماهي نظرة المسيري للقومية الوطنية والفلسفة اليهودية؟ من حيث توصيفه وتحليله لها؟
- ما هي المرجعيات الفكرية والسياسية التي استفاد منها عبد الوهاب المسيري في دراسته للصهيونية ونقدها لهذه الحركة؟
- ماموقف المسيري من الحركات الإصلاحية في المشرق العربي الإسلامي؟
- وما هو مصير القضية الفلسطينية في العالم؟

دوافع البحث:

وقع إختيارنا على دراسة الموضوع باعتبارات عديدة أهمها القومية الوطنية والفلسفة اليهودية من أهم موضوعات التي لها أثر كبير في المجتمعات العربية والغربية باعتبارنا أن المسيري قدم جهدا معرفيا ومشروعا كبيرا للصهيونية وما بعد الصهيوينية، وأنه إنطلق من مقومات الهوية العربية والإسلامية وسعى إلى كشف عن الكثير من مضامينها الإيجابية والتي عدت مع الغرز الثقافي سببا للتخلف والرجعية عند الكثير من الناس.

الدراسات السابقة:

لمعالجة هذه الإشكالية توجهنا إلى إطلاع على دراسات سابقة لمثل هذا الموضوع ومن بين هذه الدراسات العلمانية عند عبد الوهاب المسيري وإشكالية التحيز إلى الحضارة الغربية والفلسفة المادية عند عبد الوهاب المسيري وقد وجد الباحث بعض أعمال البحثية المقدمة لمؤتمر المسيري والتي جمعت في كتاب بعنوان في "عالم عبد الوهاب المسيري"، "الحوار النقدي الحضاري"

أهداف اليحث:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن أهم السلبيات وأهم الإنتقادات الموجهة للصهيونية وكيفية القضاء على الصهيونية وأهم الآليات المساعدة على ذلك، والتعرف على المناهج الجديدة في النقد ويهدف إلى اقتراب أكثر من المسيري ويبين أهم مشاريعه الفكرية في الحضارة الغربية والعربية.

صعوبات البحث:

توجد صعوبات في بحثنا أننا وجدنا موضوع واسع ومتسع وكان حصره صعبا وخاصة أن عبد الوهاب المسيري كل دراساته العلمية كانت على اليهود واليهودية والصهيونية، والعقل الصهيوني مما جعل جمع أفكاره في منظومة واحدة متناسقة صعبة المنال، تؤكدها مشكلة التكرار في كتبه وتداخل تعاريفه، مما زاد صعوبة خلة المكتبات الجزائرية من كتبه الورقية، مما جعلنا نتردد كثيرا في كيفية تناول أفكاره وعرضها في بحثنا.

مناهج المتبعة:

المنهج الوصفي التحليلي:

إعتمدنا على المنهج التحليلي الذي قام على شرح وتفسير حمسار ومحطات التي ساهمت في بناء أفكار عبد الوهاب المسيري ونشر معالم مشروعه في رصد معرفة أفكار المجتمع اليهودي وكذلك المنهج الوصفي الذي اعتمد فيه عبد الوهاب المسيري على وصف الأحداث التي عاشها من خلال دراسته للفلسفة اليهودية والصهونية.

المنهج التاريخي النقدي:

إعتمدنا على المنهج التاريخي في التعرف على أهم محطات حياة المسيري ورصد أهم التحولات الفكرية والثقافية عنده، وكذلك المنهج النقدي الذي إعتمدنا فيه على النقد الذي عرضنا موقف عيد الوهاب المسيري إتجاه الصهيونية واليهودية وكيفية نقد العقل الصهيوني من خلال موسوعته التي سميت باليهود واليهودية والصهيونية.

وهو منهج المعتمد في رسالة عبد الوهاب المسيري للصهيونية والإسرائيلية

خطة:

ولإيفاء موضوع بحثنا حقه إرتأينا تقسيم خطة البحث على النحو الآتي:

مقدمة: وكانت بمثابة عرض أبعاد المواجهة بين الصهيونية العالمية الممثلة في الإيمبريالية الغربية وبين الإتجاهات القومية العربية المنتشرة عبر الربع الوطن العربي.

الفصل الأول: والذي عنوانه ب: السياقات المنهجية بموضوع البحث حيث تطرقنا إلى تعريف المصطلحات والمدخل المفاهيمي وفي **المبحث الأول**، أما المبحث الثاني الذي يليه من نفس الفصل تطرقنا إلى السياق الكرونولوجي للفكر الفلسفي اليهودي، أما **المبحث الثالث** فتناولنا فيه نشأة المفكر عبد الوهاب المسيري وإعطاء لمحة عن فكره ومؤلفاته.

الفصل الثاني: والذي عنوانه ب: الإتجاهات الكبرى للعلمانية والقومية في الفلسفة العربية المعاصرة، وفيه عرضنا: كمبحث أول: عن عوامل ظهور التيارات العلمانية والقومية في الفكر العربي المعاصر ثم المبحث الثاني: القومية العربية ومشروع الدراسات الموسوعية للفكر الصهيوني، ثم تطرقنا في المبحث الثالث: الذي يليه عبد الوهاب المسيري إتجاه مشروع معاداة الحركة الصهيونية.

و**الفصل الثالث** الذي عنوانه: ب الصهيونية والصراع العربي اليهودي وفيه عالجنا ما يلي:

المبحث الأول: الكتابات الفكرية والسياسية حول القضية الفلسطينية، أما المبحث الثاني: صغناه بمفهوم ما بعد الصهيونية عند عبد الوهاب المسيري في حين، المبحث الثالث والأخير: الذي تمثل في الفكر السياسي ونقد العلمانية المعاصرة عند عبد الوهاب المسيري.

وفي أثناء إنجازنا لهذا البحث إعتمدنا على بعض مصادر المسيري من الكتب: كتاب نهاية التاريخ وكتاب اليهودية والصهيونية وإسرائيل، وأسرار العقل الصهيوني وأهم في هذا البحث موسوعته اليهود واليهودية والصهيونية.

وبالنسبة للموضوع بصفة عامة فهو مختصر يمكن التوسع فيه كموضوع للبحث في درسات التدرج أو ما بعد التدرج القادمة مستقبلا، وفي ظل توفر المادة العلمية الكافية التي تعني بدراسة الفكر عبد الوهاب المسيري ومناهجه أو نماذجه المعتمدة في دراسته.

الفصل الأول: السياقات المنهجية لموضوع البحث

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي:

المبحث الثاني: السياق الكرونولوجي للفكر الفلسفي اليهودي

المبحث الثالث: المفكر عبد الوهاب المسيري، السيرة والفكر

المبحث الأول: مدخل مفاهيمي:

1) الفلسفة:

لفظ الفلسفة مشتق من اليونانية وأصله (فيلا–صوفيا) ومعناه محبة الحكمة ويطلق على العلم بحقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح كانت الفلسفة عند القدماء مشتملة على جميع العلوم وهي قسمان: نظري وعلمي أما النظري: فينقسم إلى علم إلاهي والعلم الأعلى والعلم الرياضي وهو علم الأوسط ومع أن العلوم إستقلت عن الفلسفة واحد بعد واحد فإن بعض الفلاسفة ظل يطلق على جميع المعارف الإنسانية مثل ديكارت الذي قال:"إن الفلسفة أشبه بالشيء بالشجرة جذورها علم ما بعد الطبيعة وأغصانها علوم أخرى كالطب وعلم الميكانيك وعلم الأخلاق" والصفات التي تتميز بها الفلسفة هي الشمول والوحدة والتعمق في التفسير والتعليل.

(جميل صليبا، 1972، ص ص 160–161)

2) الفكر:

إعمال العقل في الأشياء للوصول إلى معرفتها ويطلق بالمعنى العقلي والتأمل ومقابل للحدس وللفكر عند الفلاسفة حركة النفس في معقولات سواءا كانت بطلب أو بغير طلب أو كانت من المطالب إلى المبادئ أو من المبادئ إلى المطالب وهذا المعنى الذي يتضمن معنى الحركة يخرج الحدس.لأن الحدس إنما هو إنتقال من المبادئ إلى المطالب دفعة ولا تدريجيا قال إبن سينا: "وأعن بالفكر هاهنا مايكون عند إجماع الإنسان أن ينتقل عن الأمور الحاضرة في ذهنه المتصورة أو ما صدق بها تصديقا علميا أو ظنيا أو وضعا أو تسليما إلى الأمور الغير الحاضرة فيه وهذا الإنتقال لا يخلو من الترتيب ". (جميل صليبا، 1972، ص 155)

3)الليبيرالية:

هي فلسفة سياسية أو رأيسائد تأسست على أفكار الحرية والمساواة، وتشدد الليبيرالية الكلاسيكية على الحرية في حين أن المبدأ الثاني وهو المساواة يتجلى بشكل أكل وضوحا في الليبيرالية الإجتماعية يتبنى الليبراليون مجموعة واسعة من الأراء تبعا لفهمهم لهذين المبدأين ولكن وبصفه عامة يدعم الليبيراليون أفكار مثل حرية التعبير، المجتمعات الديمقراطية...إلخ.

4) الإشتراكية:

مأخوذة من الإشتراك، نقول إشترك القوم في ذلك أي تشاركوا،أو هي إصطلاح جديد يطلق على المذهب القائل: إن مجرد الإعتماد على الحرية الأطفال في الحياة الإقتصادية لا

يكفي لإيجاد نظام إجتماعي صالح وأهم من الممكن لابل من المرغوب فيه أن يستدل الناس بالنظام الحاضر نظاما موافقا يحقق العدل الإجتماعي ويساعدنا على النمو الشخص الإنساني نموا تاما.(برتيمة وفاء، 2008-2009، ص188)

5) العلمانية:

لغة: كلمة العلمانية ترجمت بكلمة Secularism الإنجليزية التي لها نظائرها في اللغات الأوروبية وكلمة مشتقة من الكلمة اللاتينية سيكولوم Saeculum وتعني العصر أو الجيل أو القرن أما في اللاتينية العصور الوسطى فإن الكلمة تعني العالم أو الدنيا.

(عبد الوهاب المسيري، 2002، ص 53)

ولحداثة هذا المصطلح عندنا فإننا لا نجد في المعاجم اللغة العربية المتقدمة ولكن تناولته بعض المعاجم الحديثة، فمثلا جاء في معجم الوسيط بمعجم اللغة: العلماني: نسبة إلى قاسم بمعنى العالم وهو خلاف الدين أو الكهنوتي. (إبراهيم مصطفى وآخرون، دون سنة، ص 624)

وجاء في معجم أوكسفود باللغة الإنجليزية العلماني: غير معني بالشؤون الروحية أو الدينية، دنيوي، وعلمانية: الإغعتقاد بأن الأخلاق، التعليم...إلخ يجب أن لا تبنى على الدين.

(عبد الوهاب المسيري، 2002، ص 54)

مما سبت نرى أن المعاجم العربية إتفقت على شكل كلمة بفتح العين لا بكسرها، وقامت على كل المعاجم بنسبتها إلى العالم وليس العلم وترجمتها إلى العربية بلفظ "العلمانية" هي ترجمة مظلمة لأنها توحي بأن لها صلة بالعلم. (محمد قطب، 2001، ص 445)

إصطلاحا: نظرا لحداثة مصطلح العلمانية على اللسان العربي وارتباطه بلغات أوروبا وثقافتها كان لابد من التعرف على المعنى الإصطلاحي لهذا المصطلح في منضامه الغربية، لتتضح الترجمة الصحيحة، ويزول الإشكال المتعلق بأبعاده ومنطلقاته وفلسفته.

1- تعرفها دائرة المعارف البريطانية في إطار الحديث عن مفهوم العلمانبة عن مادتها الإشتقاقية بأنها حركة إجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم بالإهتمام بالآخرة، إلى الإهتمام بهذه الدنيا وحدها، وذلك أنه كان لدى الناس في الصور الوسطى رغبة شديدة في العزوف عن الدنيا، والتأمل في الله واليوم الآخر، وفي مقاومة هذه الرغبة طفقت الSecularism تعرض نفسها من خلال تنمية النزعة الإنسانية حيث بدأ الناس في عصر النهضة يظهرون تعلقهم الشديد بالإنجازات الثقافية والبشرية.

2- جاء في قاموس العالم الجديد فيستر شرح لنفس المادة في شقين:

الشق الأول: الروح الدنيوية أو الإتجاهات الخاصة نظامه من المبادئ والتطبيقات يرفض أي شكل من أشكال الإيمان والعبادة وهذا الإتجاه أحادي.

الشق الثاني: اتجاه فصل بين الكنيسة والسياسة، والإعتقاد بأن الدين وشؤون الكنيسة لا دخل لها في شؤون الدولة خاصة التربية العامة.

يقول الدكتور محمد عمارة: (العلمانية هي دعل المرجعية في تدبير العالم الإنسانية خالصة، ومن داخل العالم دون تدخل من الشريعة السماوية وهي الوحي من الله المفارق بهذا العالم). (محمد عمارة، 2003، ص 7)

أ- العلمانية الجزئية:

إن الحضارة الغربية منذ نهاية عصر النهضة، تحولت تدريجيا إلى حضارة مادية تقدس كل ماهو مادي طبيعي حيث يكشف لنا نموذج العلمانية الشاملة تاريخ تشكل الظاهرة الحداثية في الغرب، وعوامل الإمبرالية وهيمنة وتغريب لذلك إعتبر المسيري هذا النموذج الذي يعد إنتاج الحضارة الغربية ويشكل مرجعية فلسفية غربية تكشف لنا عن أشكال الواحدية المادية- والإتجاهات الفكرية الإستناية كالداروينية والماركسية...إلخ.

والعلمانية عند الميسري نوعان:

العلمانية جزئية: وهي التي تطالب بفصل الدين عن الدولة فقط وتلتزم الصمت بخصوص القيم مطلقة والحياة الخاصة والمرجعية النهائية.

علمانية شاملة: لاتكتفي بفصل الدين عن الدولة وبعض جوانب الحياة العامة وحسب، وإنما تفصل كل القيم والغايات الدينية والأخلاقية والإنسانية عن الدولة وعن مرجعيتها النهائية وعن الحياة الإنسان العامة والخاصة فالعالم مكتفي بذاته وهو مرجعية ذاته تبدت العلمانية الشاملة في رؤيتين للإنسان السوبرمان.(عبد الوهاب اليسري، 1999، ص 461). الذي يولد معاييره من ذاته ولايؤمن بالقيم هو إنسان يرى من حقه ان يوظف الآخرين لحسابه إعتباره الأقوى والعلمانية الشاملة في واقع الأمل هي الدراونية والنفعية المادية والعقلانية المادية التي حولت العالم إلى مادة إستعمالية يوظفها الإنسانالغربي لصالحه من خلال مشروعه الحداثي الغربي، إذ تعتبر الحلولية والعلمانية الشاملة من أهم الأدوات التحليلية التي إستعملها المسيري في دراسته التحليلية والتفسيرية والتفكيكية والنقدية للصهيونية واليهودية.

نال الحظ الكبير من الدراسة والتفصيل في تناوله من خلال دراسة السياق تطوره التاريخي والمعرفي وربطه مع الكثير من الظواهر المصاحبة له التي هي من صميمه وإفرازاته، فإن باقي المصطلحات المركزية مثل المادية والحداثة وما بعد الحداثة والعقلانية لم تدل ذلك الحظ الوافي من الدراسة والمراجعة وهذه ربما لأن المسيري نظر إليها عن طريق النماذج المركبة فإعتبرها ماهي إلى تنويعات على النموذج المادي.(عبد الوهاب المسيري، 2006، ص 79) الذي حدده وطبقه عليها، أما إنطلاقه من خلال نظره الدينية فيما يسميه المرجعية النهائية.(عبد الوهاب المسيري، 2010، ص 37) بإعتباره النقطة الناظمة لكل الظواهر التي يكتبعنها فهو خيار كفيار من يتبنى عدم الإنطلاق من آية نقطة ثم في الأخير سيجد نفسه قد تبنى خيارا مستبطنا من دون وعي منه ولايظهر إلا في النتائج التي يصل إليه فضلا عمن يقول بأنه يستحيل للإنسان الإنطلاق من دون رؤية محددة سواء كانت عن وعي أو دون وعي.

أما التحدد بالغرب فنحن ننفق فيه مع من ذهب ذلك بالرغم من أنه لايمكن الهروب من الأمر الواقع وهذا الآن:" الغرب استطاع فرض منظومته كأمر واقع يجب اتخاذ موقف محدد منه من قبل آية منظومة فكرية أخرى، قبولا ولرفض أو تفاعلا –فإنه إستطاع أيضا فرض القوالب الفكرية التي صيغت هذه المواقف من خلالها". (أحمد عبد الحليم عطية، ص 144) لكن المشكلة تمكن في أن الكثير من الأفكار صدى للغرب نفسه (الماركسية– مدرسة فرانكفورت) المنامض للحداثة الغربية مما يجعل المسيري بعيدا عن تقديم بديل أو نموذج عربي إسلامي جديد، لذا فهو قد ورط نفسه في تصنيف خطابه كخطاب إسلامي جديد لأن الجهد المعرفي لبناء الخطاب الإسلامي الجديد بعيدا جدا عن مؤمول ولكن نحسب أنه وضع يده على الجرح فمجرد الوعي بالمسألة ومحاولة التأسيس خطوة نحو بناء الحداثة الإسلامية بديلة عن الحداثة الغربية.

6) القومية العربية لغة واصطلاحا:

• **لغة:** القومية من قام يقوم قوما، وهي مشتقة من إسم القوم وهم الجماعة من الرجال والنساء معا أو الرجال خاصة (مجد الدين بن محمد بن يعقوب، د س، 539) والقومية جماعة ترتبط بينهم رابطة معينة، وهي أيضا مشتقة من القوم، وهي تعبير عن وجود جماعة من الناس يتكلمون لغة واحدة وينحدرون من أصل واحد كالعرب والترك والفرس. (عدنان محمد زرزور، 1999، 43)

أما العرب أو العرب بالضم خلاف العجم وهم سكان البادية والعربي إسم بين العروبة والعروبية. (مجد الدين بن محمد إبن يعقوب، د س، ص 14)

- **إصطلاحا:** القومية مصطلح وضع حديثا للترجمة لفظ "Nationalisme" التي وجدت في أوروبا في القرن الثامن عشر، وتعني إدارة مجموعة من الناس وعن طريق خصوصياتها التاريخية لإنشاء دولة مستقلة لها، وكلمة القوم تعني الأمة والتي إشتق مفهومها من أصل اللاتيني "العرق"، ثم تطور المفهوم ليشمل معنى الأرض التي يعيش عليها أفراد ذو العرق الواحد والثقافة الواحدة واللغة الواحدة والتاريخ الواحد. (عامر رشيد، 2000، ص 1025)

وهي عبارة عن صلة إجتماعية تنشأ من الإشتراك في الوطن والجنس واللغة والمنافع والثقافة والتاريخ الحضارة والأمال والمصالح، وهي شعور جماعة من الناس بأنهم ينتمون إلى أصل واحد.

أما محمد الغزالي فيرى أن القومية هي الواقع التاريخي واللغوي والجغرافي والثقافي العام لقوم من الأقوام. (محمد الغزالي، 2005، ص 128)

أما القومية العربية (Nationalisme arab) فهي حركة سياسية قومية تهدف إلى تحقيق الإستقلال الشعب العربي إستقلالا تاما، وبعث الحضارة العربية وتحقيق الوحدة بين الأقطار العربية لتشكيل الأمة العربية دولة واحدة. (عبد الوهاب الكيالي، د س، ص 832)

وهي عقيدة مستمدة من العرب عائدة إليهم جامعة لهم مؤلفة لقوامهم السياسية والثقافية والإقتصادية، هدفها تحرير الأمة تحريرا كاملا من النفوذ الأجنبي بشتى نواحيه وأشكاله، وذلك بإنشاء كيان عربي واحد. (هاني الهندي، 2001، ص 178- 179)

كما أن فكرة القومية العربية تعني الإيمان بالوحدة الأمة العربية، وتتطلب العمل بما يستوجب هذا الإيمان، وذلك بالتفاني في خدمة هذه الأمة ومساهمة في ضمان تقدمها ووصولها إلى أوج الرفعة والقوة والكمال في ميادين العلم والثقافة والإقتصاد والإجتماع والسياسة. ويمكن القول أن القومية العربية هي ذلك الشعور الذي يولد لدى العرب في أواخر القرن التاسع عشر بأنهم أمة واحدة تربط بين أفرادها روابط مشتركة يجب المحافظة عليها والمواجهة أي خطر يهددها.

الوطنية:

تثير الوطنية تساؤلات من نوع الذي ناقشه على النحو المميز، مثل كيف يكون تعريف الوطنية وماعلاقتها بالقومية؟ ولم يعتد الفلاسفة تناول موضوع الوطنية عن قرب أو اهتمام فالمقال عن الوطنية في "المعجم التاريخي للفلسفة" يستعرض مصطلح من القرن السادس عشر إلى وقتنا هذا ويقدم مراجعا عديدة، ولكن معظمها لكتاب ليسوا فلاسفة فوق ذلك، فمن الفلاسفة القلائل المعروفين جيدا الذين ورد ذكرهم في المقالة نجد واحدا منهم فسحب وهو (فيختيه) قد أعطى موضوعا من مجرد إشارة عابرة وكان معظم ما قاله حقيقة يخص القومية أكثر مما يخص الوطنية.

التعريف المعياري للوطنية في المعاجم هو (حب الفرد لبلده) وإذ يمثل هذا التعريف المعنى الجوهري لمصطلح في الإستخدام الدارج، فإنه يبدوا ضعيف نوعا ما وما بحاجة لإثراء وفيما لا يزال الكتاب "ستيفن ناثونسون" هو الوحيد الذي يدرس موضوع فلسفيا بإسهاب فإننا نجده يحدد الوطنية بحيث تتضمن:

- العاطفة الخاصة لفرد اتجه بلده.
- إحساس بالتماهي الشخصي مع البلد.
- إهتماما خاصابخير وصالح البلد.
- إستعداد للتضحية وتقرير الخير للبلد.

العلاقة بين الوطنية والقومية:

غالبا ما تم الخلط بين كل من الوطنية والقومية في النقاشات المتعلقة بها سبب نقص في الوضوح الناجم عن الفشل في التمييز بينهم، العديد من الكتاب يستخدم مصطلحين بشكل تبادلي، ونجد وسط الذين لم يفعلوا ذلك أن قل الذين يميزون بينهم في الأساليب ولم تكن مجدية جدا غالبا، ففي القرن التاسع عشر ميز لورد أكتون بين الوطنية والقومية على أساس تأثير والغريزة مقابل علاقة أخلاقية فالقومية هي "صلتنا الطبيعية أو المادية فسحب مع الجنس البشري" أما الوطنية فهي "وعينا بواجباتنا الأخلاقية تجاه جماعتنا السياسية".

(هويد الشوفي، 2019، ص 03)

الدين:

- **الدين الإسلامي:**

دين الله عزوجل الذي بعث به نبيه عليه الصلاة والسلام وأنزل به هذا القرآن العظيم، ولا يقبل من أحد بعد بعثة النبي صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: "ومن يبتغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين". (سورة آل عمران–الآية 85–)

الإسلام لغة:

بمعنى الخضوع والإنقياد لأمره غيره ونهيه يقال أسلم: إنقاذ، أو دخل في سلم أو أسلم أمره إلى الله أو فوض أمره إليه وإنقاذ وأسلم: دخل في دين الإسلام أي أصبح مسلما أسلم الله: أخلص الدين له، جاء في القرآن الكريم:

"بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولاخوف عليه ولا هم يحزنون"

(سورة البقرة–الآية 112–)

إصطلاحا:

الدخول في السلم، وهو أن يسلم كل واحد منهما أن ينال ألم صاحبه، كما قال الراغب الأصفهاني في مرادفات ألفاظ القرآن الكريم.

الإسلام شرعا:

هو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله إقام الصلاة إيتاء الزكاة صوم رمضان وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سيبلا.

اليهودية:

لغة:

اليهودية نسبة إلى اليهود واليهودية مشتقة من فعل هاد.

واليهود لغة: من هود والهود: الثوبة والرجوع إلى الحق.

ومنه التهويد: وهو المشي كالدبيب وصار الهود في التعارف: التوبة قال الله تعالى: "إن هدنا إليك". (سورة الأعراف–الآية 156–)

وبالضم اليهود إسم النبي، واليهود يجمع على يهدان وهو هوده حوله إلى ملة اليهود، والهواد اللين ما يجرى به الصلاح وتهود صار يهوديا.

الهود: لتحريك الأسنمة وقيل: أصل السنام جمع هودة.

(أبوقاسم الحسن بن محمد الراقب الأصفهاني، دون سنة، ص 546)

إصطلاحا:

اليهودية وهي ديانة العبرانين المعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذي أرسل الله إليهم موسى عليه السلام مؤيدا بالتوراة واليهودية ديانة منسوبة إلى يهود الشعب، وهذه التسمية قد إختلفت في أصلها، وقد تكون نسبة إلى يهودا أحد أبناء يعقوب عليه السلام وعممت على الشعب وعلى أسلوب التغليب فاليهودية هي التي كان الشعب اليهودي يقربها، ويعمل تحت ظل حكمها وسميت بهذا الإسم لانتسابها إلى يهوذا أحد أبساط إثني عشر وهو من أبناء يعقوب عليه السلام. (جودت سعد، دون سنة، ص 117)

المسيحية: أو النصرانية هي ديانة إبراهيمية وتوحيدية في الأصل مصدرها الكتاب المقدس الذي هو في العقيدة متمم النبوءات المنتظرة، وإبن الله المستجد حسب معتقداتهم.

يعتبر العهد الجديد مصدرا رئيسيا للتعاليم الروحية والإجتماعية والأخلاقية، وأيد المسيح عليه السلام أقوالهم بمعجزاتهم، وكان ملخص العالم بموته على الصليب وقيامته، والوسيط الوحيد بين الله والبشر.

ينتظر معظم المسيحيين مجيئه الثاني، الذي يختم بقيامة الموت، حيث يثبت الله الأبرار والصالحين بملكوت أبدي سعيد. (الصافي الحبيب، 2020، ص01)

المبحث الثاني: السياق الكرونولوجي للفكر الفلسفي اليهودي

أصول الفلسفة اليهودية:

الفلسفة اليهودية من خلال مفهومها تجمع بين مفهومين أساسيين أولا الفلسفة وهي محاكاة اليونان وما وصلنا من أعمالهم وهو مسار منهجي لحركة الترجمة وتنوع الثقافات، والمفهوم الثاني اليهودية وهي ديانة تعود إلى المقدس مثل كل الديانات ويترتب عن هذا إما التوفيق مع العقل اليوناني أو تقديم النص المقدس وتؤيلاته كونه قانون المجتمع والأخلاق وسبيل الخلاص، فما هو مصدر الفلسفة اليهودية؟

المصدر الأول:

تلمود: من أهم مصادر اليهودية بل هو الروح (حيث ينبغي أن يكون التلمود مفهوما بوضوح لأن مصدر ومرجع كل الممارسات الكلاسيكية لليهودية والقاعدة التي تحدد شريعتها هو التلمود وتحديد أدق ما يدعى بالتلمود البابلي أما بقيت الأدب التلمودي بدى تلمود مقدس أو فلسطين فهو مراجع إضافية). (إسرائيل شحاك، 1995، ص62)

ويتجسد تلمود في مجموعة قانونية قسمها اليهود إلى قسمين وكل قسم فيه تفاصيل حيث (يتألف التلمود من المشناة وهي مجموعة قانونية شاملة تضم ستة مجلدات مكتوبة بالعبرية والجزء الثاني للتلمود نسميه الجميراه وهي شرح للمشناة). (إسرائيل شحاك، 1995، ص62)

وتتنوع معاني تلمود كتاب اليهود المقدس فمفهومه اللغوي يعني الدرس والتنظيم (وقد كتب باللغة العبرية والآرامية ويتكون من المشناة أي التوراة الشفوية وهي التثنية التي بدأت منذ ظهور اليهود حتى 220م، ويتكون التلمود إضافة إلى المشناة منالجميراه أي الشروحات والتفاسير والتعاليق التي تسند أساسا إلى نص التوراة وهي أعمال قام بها شيوخ وتلامذة الأكاديمية اليهودية الفلسطينية والبابلية ما بين 220م–500م، والتلمود تلمودان أحدهما فلسطيني و يدعى "بروتسلمي" القرن الرابع، والثاني البابلي القرن الخامس وهو الأهم).
(أحمد شحلان، 1999، ص25)

من أعلام الفلسفة اليهودية القديمة:

تميزت الفلسفة اليهودية بالإهتمام بقضايا متنوعة هدفها توضيح طبيعة العهد القديم وإحداث تقارب مع الفلسفة اليونانية التي وصلتهم عن طريق الترجمة فأخذوا منها العقل أو اللوغوس وتجسد هذا في فترة الرخاء نعم بها اليهود في مصر إن قرنت بحالة اليهود في البلاد العربية. (ماهر عبد القادر محمد، 2000، ص53)

وأهمية الفلسفة اليهودية عبر عنها فيلون وإخترنا تجربة فيلون الدينية.

أ/فيلون الإسكندراني: لإهتمامه البالغ بالثقافة والحجاج الفلسفي اليوناني يسميه البعض بأفلاطون اليهود (وفيلون اليهودي ولد في الإسكندرية 20 ق.م وكان يمثل هذا الفيلسوف الإنعكاسات الأكثر دلالة في النزعة التوفيقية في النصف الأول الميلادي، تلك التوفيقية التي يلاقي بين الفكر اليوناني والفكر العبري). (جورج طرابشي، 2006، ص49)

وفي هذه المرحلة تداخل الفكر اليوناني بالروح الشرقية الفلسفية، فبرزت نزاعات إشراقية حيث نجد لأول مرة الحقيقة الدينية وقد وضعت في صيغة فلسفية عن فيلون الإسكندراني الذي يعد رجل ديني أكثر مما يعد فيلسوف لأن الأصل عنده كان الدين اليهودي، ولا نعرف شيئا عن حياته سوى أنه من مواليد الإسكندرية وبها عاش وتعلم دراسته اليونانية كلها وكان يعرف العبرية وكانت أسرته من الأكثر ثراءا، ويذكر أن طائفته أرسلته إلى الإمبراطور كاليجونلا في عهد روما ليشكو إليه سوء معاملة الحاكم الروماني على مصر لأهل ملته (أما في عصر الهلينستي فقد إنتعش اليهود وخاصة في فلسطين وتأثروا بالحضارة الإغريقية ودعوا إلى الثقافة الإغريقية وكما تأسست بها الإسكندرية أقام بها الكثير من الفلاسفة وإستطاعوا أن ينعموا بمظاهر الحضارة اليونانية). (ماهر عبد القادر محمد، 2000، ص53)

لقد إستطاع فيلون أن يجمع بين الفكر اليوناني والعقيدة اليهودية وبعبارة أخرى بين التفكير العقلي والفهم النقلي إلى درجة أنه صار نموذجا للتوفيق داخل الفلسفة المسيحية أو الفلسفة الإسلامية، ولقد كان (فيلون الإسكندراني أشهر فلاسفة اليهود في القرن الأول الميلادي وهو زعيم المدرسة الفكرية، أنشأها في الإسكندرية جمعت بين التوحيد اليهودي وفلسفة أفلاطون). (ماهر عبد القادر، 2000، ص54)

أعلام الفلسفة اليهودية في الإسلام:

إمتداد الفلسفة اليهودية داخل الفلسفة الإسلامية تجسد لنا من منظورين، الأول علم الكلام والتبريرات الكلامية، والثاني فلاسفة الإسلام خصوصا مدرسة الأندلس وحركة الترجمة التي كانت سائدة في فترة القرون الوسطى إضافتا إلى اضطلاع فلاسفة الإسلام ومنهم:

-**موسى بن ميمون:** زود الأجيال بمعلومات كبيرة عن ذاته سواء في رسالته أو وثائقه التي تم الإحتفاظ بالكثير منها، وعرف بالأسماء العربية فإسمه العبري موشيه بن ميمون كما عرف في اللاتينية بإسم ميمونادس وعرف في العبرية بإسم رامبام، هذا إختصار للإسم الذي يعني الحاخام موسى بن ميمون، أما إسمه العربي فهو رئيس أبو عمران موسى بن ميمون بن عبد الله القرطبي الأندلسي الإسرائيلي، وعرف أيضا بالإسم المعلم، ولد في قرطبة بإسبانيا ما بين 1135-1138م، توفي في عام 1204م وكانت قرطبة في ذلك الحين عاصمة الأندلس وأهم مدينة في أوروبا وعاش اليهود حالة من الإزدهار الثقافي في الأندلس.

(ثمار رودافيسكي، 2013، ص21)

علاقة الفلسفة اليهودية بالفلسفة الإسلامية:

هنا نذكر طبيعة العلاقة بين الفلسفة اليهودية والفلسفة الإسلامية نوجزها في المستويين الأول الكلامي والثاني الفلسفي عند فلاسفة الإسلام:

أ/المستوى الكلامي: حيث كان العلماء يمثلون مدرسة من المفكرين الإسلاميين الذين قدموا تفسيرا صارما للقرآن الكريم، وإنقسم علماء الكلام إلى مدرستين: الأولى مدرسة المعتزلة التي كانت تمثل التيار المعتدل من علماء الكلام والتي تؤكد على حرية الإنسان، وعرف أتباع هذه المدرسة بإسم أهل العدل والتوحيد، أما المدرسة الثانية هي مدرسة الأشاعرة التي أكدت على تقدير الله لأفعال البشر وإستعرض بن ميمون في تفسير للمشناة بعض مواقف علم الكلام وأعرب عن رفضه له، وحينما كتب موسى إبن ميمون مؤلفه "دلائل الحائزين" إستعرض علم الكلام و خصص له أربعة فصول وقدم معلومات عن مواقف المتكلمين.

(ثمار رودافيسكي، 2013، ص30)

وإهتمام إبن ميمون بعلم الكلام الإسلامي له ما يبرره من طبيعة الحجاج المستخدم في تفسير الإرادة وأفعال العباد وإثبات وجود الله بالإضافة إلى مسائل التأويل في علم الكلام وفهم القرآن ومن خلال حجاجهم الديني والأصول الفلسفية اليونانية سعى إلى التوفيق بين الفلسفة

اليونانية والفلسفة اليهودية من ناحية، ومن ناحية أخرى يحاول الإعتماد على الحجاج الديني لإثبات وجود الله وضرورة العقل وأحكامه من مسائل الفلسفة والدين.

- **اللاهوت اليهودي وعلاقته بالشرائع السماوية:**

يتضح لنا فلسفيا أهمية الترجمات الإسلامية الكبرى لإبن رشد في نقل الثقافة والفلسفة المشائية إلى القرون الوسطى وتشبع الفلسفة اليهودية بالأفلاطونية إضافة إلى أبناء الكنيسة وأفلاطونيتهم حيث كان اليهود قبل الإسلام قد برعوا في وصف اللغة العبرية وأصولها في نص التوراة حيث ناقشوا كل التفاصيل من الجوانب التشريع وأكثروا من إبداعات في هذا المجال وإذا كان النظر العقلي عند فيلون الإسكندري إرث يوناني لا يعكس أي حقيقة فكرية فإن علم الكلام في الأندلس إزدهر حيث كانت الأندلس مرتعا للفكر اليهودي.

(أحمد شحلان، 1999، ص17)

الفرق اليهودية: تتنوع الفرق اليهودية حسب المعتقدات والإختلاف في القضايا الإجتماعية ومن بين أهم الفرق اليهودية ما يلي:

أ/ **الفرسيون:** وهم شيعة من اليهود يجهرون أنهم أكثر إستمساكا بالدين من سائر أبناء ملتهم وبأنهم أدق من غيرهم في تفسير شرائعهم من دلالة الكلمة نفهم أنهم المنعزلون أو المنشقون، ذلك لأن أعداءهم كانوا يدعوا أنفسهم الأحبار أو الربانيين وأهم معتقدات هذه الفرقة أن الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم مخلوقة منذ الأزل وكانت مدونة على الألواح المقدسة ثم أوحيت إلى موسى. (كامل سعفان، 1981، ص 204)

ب/ **الصدقيون:** قيل أن إسمهم نسبة إلى صادقون الكاهن الأعظم في عهد سليمان وهذه الفرقة أنكرت التلمود ولم تقدس التوراة قدسية مطلقة وهم ينكرون البعث واليوم الآخر لأنهم يعتقدون أن العقاب والثواب يتمان في الدنيا وهم يؤمنون بحرية الإختيار ولا يترقبون مسيحيا قادما وهذه الطبقة كانت من الأسقراطيين تحاول أن تحمني مصالحها فمالت إلى إحترام القوانين الموجودة واحترمت ديانة اليهود ولا يميلون إلى العنف. (كامل سعفان، 1981، ص 206)

ج/ **الحسديون:** ظهرت هذه الفرقة في القرن الثاني قبل الميلاد وتختلف عن بقيت فرق اليهود إختلافا جوهريا في عقائدها وعبادتها ونظامها وتقاليدها وقد ظل أتباعها يمارسون طقوسهم الدينية إلى القرن الأول ميلادي وكانوا يحبون الحياة أقرب إلى الرهبنة ويكرهون الزواج ويمثلون الإشتراكية. (كامل سعفان، 1981، ص 207)

د/ السامريون: فئة قليلة من اليهود لا تعترف بغير الأسفار الخمسة من العهد القديم إلى جانب سفر يوشع وسفر القضاة وتخالف نسخة توراتهم نسخة توراة اليهود.

(كامل سعفان، 1981، ص 209)

الفرق الفكرية اليهودي في المشرق الإسلامي:

ومن بين أبرز فرق اليهود في المشرق الإسلامي هم: القراؤون والربيون وقد تبنوا أفكار فلسفية تحاكي علم الكلام الإسلامي وتعكس حضور الفلسفة اليونانية ونجملهم فيما يلي:

1/ **القراؤون:** من فيلون الإسكندري الفيلسوف اليهودي الذي لم يحد عن تقليد الفكر اليوناني في صورته الجديدة أي التلمود.

وفترة القراؤون مستهلها فيلون ومنتهاها بداية اليهودية في بلاد الإسلام وتربى هذا المذهب في أحضان مذهب علم الكلام الإسلام ولم يكن علم الكلام هذا في الإسلام إلا تفتحا على الإرث الذي ورثه الفتح الإسلامي في الإمبراطورية الشاسعة التي كانت منبعا لمعتقدات سماوية وغير سماوية مثل اليهودية والمسيحية ومعتقدات الهند وإيران. (أحمد شحلان، 1999، ص26)

ومن بين أعلام هذا المذهب:

– **أبو يوسف يعقوب بن إسحاق الفرقساني:**أحد كبار أعلام القرائيين في المنتصف الأول من القرن العاشر الميلادي من فرقسان وهي مدينة قرب بغداد ومن أهم مؤلفاته كتابان، كتاب الأنوار و المراقب وهو كتاب في التشريع. (أحمد شحلان، 1999، ص29)

– **أبو علي الحسن أو بافت علي:** يعد أبو الحسن من أشهر مفسري توراة القرائيين عاش في المنتصف الثاني من القرن العاشر ببيت المقدس ومن أهم آثاره ترجمته كتاب العقد القديم إلى اللغة العربية وكذلك تفسيره الذي حرره باللغة العربية . (أحمد شحلان، 1999، ص 29)

– **يوسف البصير:** عاش بفلسطين خلال القرن الحادي عشر وكان من أعلام الفكر القرائي البارزين، ألف كتاب المحتوى باللغة العربية وعاش في بلاد الإسلام وترجم كتابه إلى العبرية بمعنى كتاب الكياسة. (أحمد شحلان، 1999، ص 29)

2/ **الربيون:** يتميزون بتشبعهم بالمناهج العتيقة التي تركت العقل جامدا وأثقلت النص الديني بموروث لا يكتسي صبغة عقلية مقنعة وغنما يكتفي التراكم التاريخي واتخذوا اللغة والثقافة العربية أداة للتفكير والكتابة ومن أهم أعلامهم سعدية الفيومي.

(أحمد شحلان، 1999، ص 32)

سعدية بن يوسف الفيومي: (882-942م) ولد بفيوم لم يعرف عن فترة تعلمه إلا القليل ولم يبتعد عن منهج المنبع آنذاك بمصر إذ ينهل من مناهل اليهودية التقليدية التوراة والتلمود وما ارتبط بهما من المعارف ويستفيد من المناهج العربية الإسلامية وهذا ما يتضح في مؤلفاته التي أهمها تفسير كتاب المبادئ، وكتاب الضمانات والإعتقادات ويعكس الكتاب آراء المتكلمين المسلمين خصوصا المعتزلة منهم. (أحمد شحلان، 1999، ص 35)

المبحث الثالث: المفكر عبد الوهاب المسيري، سيرة وفكر

1- النشأة:

ولد عبد الوهاب أحمد محمد المسيري في مدينة دمنهور *[1](منير بعلبكي، 1990، ص498) في الثامن من أكتوبر من عام 1938م والده أحمد المسيري كان من كبار التجار في دمنهور، نشأ المسيري في عائلة ثرية برجوازية ريفية كما يسمها، لكن والده كان حريصا أن ينشئه وفق مسلك الإعتماد على نفسه فعانى من جراء ذلك كثيرا ولكنه جعل منه شخصية مثابرة قادرة على التكيف مع التحديات المعيشية في كل الأمكنة التي إستقر مثلما ذكر ذلك: "هذه النشأة جعلتني باحثا مثابرا لا تنسى أن أبناء البرجوازية الريفية –وأنا منهم– بنشؤون في خشونة، خلافا لأبناء البرجوازية الحضارية، كان والدي يردد أن لا علاقة لنا بثروته زادت أم نقصت، وأن علينا أن نعيش في مستوى أولاد الموظفين ...كنت أشكو من هذا آنذاك لكنني تعلمت فيما بعد عندما إزددت حكمة أنه نفعنا كثيرا بذلك". (جعفري، 2013، ص20)

عاش المسيري حياته وفتوته في بلدته دمنهور المدينة المصرية الأقرب إلى الريف منها إلى الحضارة، فهي رغم كبرها ووسعتها فإن المجتمع كان يحكم قبضته على أفراده، فقد كانت هناك مجموعة من القيم والشعائر يتوجب على كل الناس تبنيها والإلتزام بها في إطار من الضبط والصرامة ولا يستثنى أي فرد منها. (عبد الوهاب المسيري، 2009، ص35)

وتجاوز هذا الضبط ضبط القيم والشعائر حتى إكتسح الكثير من خصوصيات أفراده وحدد الكثير من القوانين الإجرائية التي يستتبع لها الناس ويتعلمها الصغار من سلوكيات آبائهم وينشؤون عليها ويعتبر خرقها كخرق القيم والشعائر الدينية فقد: "كان المجتمع يحدد كيف تقام الأفراح والجنازات وكان يحدد المدة المسموح بها للفرح والحزن، كل شيء يتبع إيقاعا صارما لا يلحظه أحد لأنه تم إستيطانه تماما وتوحد به الجميع". (عبد الوهاب المسيري، 2009، ص37)

كانت حياته في مجتمعه التقليدي تجربة فريدة تكون فيها المسيري فكريا وثقافيا، إكتسب منه الكثير من الخبرات التي شكلت جزءا من منظومته الفكرية، فمجتمعه كان يعتمد على التراحم والتسامح وتنوع مكوناته وتداخل مؤسساته بين المسجد والمدرسة والأسرة والصرامة ضبطه للقيم والشعائر وثراء ثقافته التقليدية، مما كان له الأثر المهم في توجيهه وإثراء فكره

[1] دمنهور :damanhor:مدينة مصرية محافظة البحيرة تقع في الجزء الأوسط من غربي دلتا النيل على طريق السكة الحديدية بين الإسكندرية و القاهرة يرقى تاريخها إل عهد الفراعنة و كانت تعرف أنذاك ب "تمنهور " مدينة(حورس)

والتحدث عن ثراء بيئته التقليدية فقال: "فقد نشأة في بيئة تقليدية تقام الصلاة في مواقيتها وتؤتى الزكاة، وتتحكم في المجتمع مجموعة من القيم الدينية والتقليدية التي يستبطنها الإنسان دون أن يدري وهو مجتمع كان يمتلك ثقافة تقليدية ثرية من الأغان والقصص والسير والفنون والحكمة عرفتها وتأثرت بها في طفولتي". (سوزان حرفي، 2013، ص46)

التحصيل العلمي:

تلقى عبد الوهاب المسيري تعليمه الإبتدائي والثانوي بمدينته دمنهور، نال الشهادة سنة 1949م شارك في هذه المرحلة العديد من الأنشطة الثقافية والرياضية ساهمت في تكوينه وتعليمه ويؤكد هذا قوله: "لا يمكن أن أتخيل نفسي دون هذه المرحلة من حياتي التي تعلمنا فيها كيف نفكر وننتقد ونكتب". (عبد الوهاب المسيري، 2009، ص133)

ولم يكن المسيري في مسيرته الدراسية في هذه المرحلة متفوقا ناجحا لم يظهر أي مستوى تعليمي متميز بل رسب في سنتين دراسيتين وفي العديد من الإمتحانات ويشير إلى ذلك قول: " كنت خائبا في المراحل الأولى من الدراسة فعلى سبيل المثال لم تكن الدروس الخصوصية معرفة ذلك الوقت ومع هذا كنت أنا الوحيد بين أقراني الذي أخذ دروس خصوصية ".

(سوزان حرفي، 2013، ص31)

لكن هذا لم يثن من عزمه في مواصلة التعلم–بالرغم من إغراءات والده بالعمل معه في التجارة– ومن حبه للدراسة والعلم وقد اكتشف أساتذته وأصدقاءه فيه هذه الرغبة والعزيمة في مواصلة التعلم، فقاموا بمساعدته على إكتشاف نفسه وتحقيق ذاته وتشجيعه على مواصلة مسيرته، ولولاهم لما حقق ما حقق من إنجازات ومراتب علمية.

(سوزان حرفي، 2013، ص 31)

إلتحق عام 1955م بقسم اللغة الإنجليزية بكليات الآداب بجامعة الإسكندرية بنصح من زميله سعيد البوسويني –بالرغم من ميله الكبير لدراسة الفلسفة– مادة يطل بها على الفكر العالمي ويلج بها إلى عالم الفكر والفلسفة، وأصبح تخصصه الأكاديمي والأدب الإنجليزي والذي اعتبره مرحلة للإنتقال إلى العمل الفكري والفلسفي. (سوزان حرفي، 2013، ص 65)

وكان يتمتع قسم اللغة الإنجليزية بجامعة الإسكندرية بمستوى تكوين عالي ذو إرادة حازمة وأساتذة أكفاء، حتى أنه عندما ذهب لإكمال الدراسات العليا بجامعة كولومبيا وجد نفسه أحسن بكثير من الطلبة، وكان لأساتذة القسم دور رئيسي في رفع مستوى الطلبة وتكوينهم تكوينا جادا،

فلم يكن هناك تساهل في البحوث الفصلية ولا في الإمتحانات ولم يكن هنالك قمع لشخصية الطالب وإلزامه بآراء معينة وكانوا يطالبونهم بالكثير من الواجبات ولا يتهاونون، ويؤكد هذا في قوله: "كان لقسم اللغة الإنجليزية في الإسكندرية تجربة فريدة، فالتدريس فيه كان يأخذ شكل محاضرات حقيقية لا دروس إملاء...كان الأساتذة يدخلون ويلقون محاضراتهم ويفسحون المجال للطلبة كي يطرحوا أسئلتهم وكانوا يقبلون الرأي الآخر بصدر رحب بل ويرحبون به".
(عبد الوهاب المسيري، 2009، ص 131)

بعد تخرجه من جامعة الإسكندرية بشهادة ليسانس سنة 1959م قرر إكمال الدراسات العليا خارج مصر من خلال الحصول على منحة، لكن لم يتمكن في البداية من ذلك مما إضطره للتسجيل في قسم الدراسات العليا بالجامعة ذاتها واختيار شخصية إبراهيم الناجي* موضوعا للدراسة، ثم حاول مرارا وتكرارا للحصول على منحة الدراسة إلى الخارج وبعد ثلاثة سنوات من الصراع مع مؤسسات الجامعة تمكن من الحصول على مكان ضمن البعثة إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام 1963م حيث التحق بجامعة كولومبيا Colombia بنيويورك وهي جامعة كبيرة وتضم بعض أهم أساتذة الأدب الإنجليزي في العالم. (عبد الوهاب المسيري، 2009، ص 148)، وهناك درسة على يدي كبار أساتذتها وأساتذة العالم في مجال الأدب الإنجليزي، حتى أنه أحس برهنة لمثل هذا الموقف الذي لم يكن يتصوره خاصة وأنه طالب عربي وحيد بالقسم، لكن ثقته بنفسه مكنته من التأقلم الذي مع ذلك الزخم المعرفي والمستوى التعليمي العالي، ومكنته من مسايرة وتيرة الدراسات العليا وهناك من وصفه بأنه الجنون عينه. (عبد الوهاب المسيري، 2009، ص 148)، وأن هذه الثقة حفظته من التهلكة وسرعت البعض من أصدقائه ومازالت تصرع الكثير من أبناء بلدته في وطنه، (عبد الوهاب المسيري، 2009، ص 155)، ولم يتفاعل بما فيه الكفاية مع المجتمع الأمريكي ولا مع الطلبة والأساتذة في جامعة كولومبيا لإكتظاظ البرامج وكثرة المقررات الدراسية والواجبات، ويشير إلى هذا بقوله: "كنا في كولومبيا نهرول من حجرة إلى أخرى ونقرأ بشراهة وتحدث بسرعة ولا نتفاعل مع بعضنا البعض إلا القليل". (عبد الوهاب المسيري، 2009، ص 149)

* إبراهيم الناجي: ولد هذا الشاعر المرفه المحب للحياة الحادي والثلاثين من كانون الأول 1889 في مدينة شبرا، كانت ثقافته ثقافة عربية وغربية هيأ له هذا الجو الثقافي أبوه أحمد الناجي إذ كان رجلا مثقفا واسع الإطلاع على الأدب الإنجليزي فعنى عناية خاصة بتنشئت إبنه نشأة أدبية. ينظر: (نوال بوشامة، 2015-2016، ص ص150-153)

بعد حصوله على درجة الماجستير عام 1964م قرر إكمال دراسة الدكتوراه في جامعة روتجرز Rutgers بالرغم من عدم ذيوع صيت جامعتها وصغر قسم اللغة الإنجليزية بها مقارنة مع جامعة كولومبيا لإرتفاع تكاليف المعيشة بمدينة نيويورك وكان قسم اللغة الإنجليزية بجامعة روتجرز صغيرا وحيويا وكان منفتحا تدرس فيه مقررات مختلفة تغطي الكثير من الموضوعات والأعمال الأدبية والمناهج البحثية (عبد الوهاب المسيري، 2009، ص 152)، واستغل صغر قسم اللغة الإنجليزية في جامعة روتجرز ذاتها للتفاعل مع من حوله من طلبة وأساتذة ومجتمع أمريكي فيما بعد، مستغلا الإمكانيات الثقافية والعلمية التي توفرها الجامعة "فكانت هناك محاضرات عامة التي كان كبار المفكرين الأوربيين والأمريكيين يلقونه، وكان هناك ناد للسينما وجلسات طلبة الدراسات العليا حيث كنا نناقش أهم الأمور وأبسطها".

(عبد الوهاب المسيري، 2009، ص 157)

وفي سنة 1969م حصل على الدكتوراه في الأدب الإنجليزي برسالة عنوانها "الوجدان التاريخي والوجدان المعادي للتاريخ"، ليعود في السنة نفسها إلى مصر ليساهم في بناء الوطن وتعليم الأجيال.

وتعتبر حياة المسيري العلمية غير منضبطة نوعا ما بالرغم من ميولاته وإمكانياته الفكرية والفلسفية إلى أن إتخذ دراسة الأدب مسلكا له وهذا المسلك في رأيه حرم الكثير من إمكانياته ومن الدخول المبكر إلى الحياة الفكرية بطريقة علمية منهجية مما جعله يتأخر كثيرا في بلورة أفكاره وعرض مشاريعه حتى أدركه الموت وهو لم يكمل بعد مشاريعه الفكرية وتعتبر أول دراسة فكرية له لم تتم بمعنى الكلمة هي دراسة إشكالية التحيز سنة 1992م، باعتبار أن جهوده في دراسة اليهود واليهودية والصهيونية (منير بعلبكي، 1990، ص 719) تندرج في مقارنة الأديان بالدرجة الأولى وحتى النماذج التي اعتمدها وبلورها في كتاباته للموسوعة لم تكن إلا في نهاية الثمانينيات ومع ذلك لا ننكر أثر الأدب البارز في مساعدته على دخول الحياة الفكرية وكذا دراسته حول الصهيونية مع تناوله لها من منظور عالمي.

1- المصادر المعرفية:

نهل المسيري في حياته من المناهل الكثيرة والمتنوعة ساهمت في ترسيخ قيمته وتوسيع أفق تفكيره وكان لهذه الروافد أثر مهم في مشواره الفكري وإنتاجه العلمي فهو لم ينغلق على ذاته ومجتمعه، ولم ينسى جذوره ومجتمعه عندما إنفتح على المجتمع المصري الكبير وعلى المجتمع

الغربي بل حاول التوفيق بين كل ذلك وحرص على الإنفاع بكل ما يخدم مشروعه المعرفي ويساهم في بلورة رؤيته الفكرية، كما إنفتح على التيارات الفكرية والسياسية والدينية وتلبس بعضهما لبعض الوقت والتفاعل معها بحركية كبيرة وطويلة فهو كما ذكر: "لم أنغلق على تراثي أو ذاتي ولم أحصر نفسي في نطاق العالم الغربي بل إنفتحت على الحضارة الغربية ونهلت من معانيها وتعلمت منها الكثير فهي جزء من تراثي كإنسان وحولت قدر إستطاعي ألا تتحول هذه الحضارة إلى المطلق... التعامل معها دون أن تلقاها بشكل سلبي وكذلك دون أرفضها بشكل مطلق". (سوزان حرفي، 2013، ص 54)، مما شكل عنده تجربة واسعة عاشها بكيانه وفكره.

أولا: الماركسية:يعتبر نفض المسيري يديه من الماركسية نهائيا كان منذ زمن طويل (نهاية الستينيات) إلا أنه يعترف أنه كان له أثر مهم في حياته ومسيرته الفكرية فرغم آثارها السلبية إلا أنها تركت لديه آثارا إيجابية كثيرة ويذكر أنه عندما سئل: "ماذا تبنى عندك من الماركسية؟ أجبت: لا شيء وكل شيء". (عبد الوهاب المسيري، 2009، ص 142)

مؤلفاته العلمية:

أنتج المسيري بعد مسيرته العلمية الحافلة عددا كبيرا من المؤلفات والدراسات العلمية الأكاديمية وكثير من المحاضرات، كما شراك في العديد من البرامج التيليفزيونية وكتب الكثير من المقالات في شتى المواضيع، وتنوع عطاءه بتعدد إهتمامه لكن أهم عطاءه تركز في ثلاث محاور أساسية وهي الفكر الصهيوني واليهودي والنقد الفكر الغربي، والدراسات الأدبية.

مؤلفاته:

في فكر الحداثة:

*الفِرْدَوس الأرضي: دراسات وانطباعات عن الحضارة الأمريكية (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1979م).

*الجمعيات السرية في العالم دار الهلال، كتاب الهلال، القاهرة 1993م).

*إشكالية التحيز: رؤية معرفية ودعوة للاجتهاد. تأليف وتحرير (مجلدان كبيران، نقابة المهندسين، القاهرة 1993م المعهد العالمي للفكر الإسلامي واشنطن 1996م . سبعة أجزاء، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة 1998م).

*فكر حركة الاستنارة وتناقضاته : دار نهضة مصر، القاهرة 1999م).

*قضية المرأة بين التحرر والتمركز حول الأنثى: (دار نهضة مصر، القاهرة 1999م العلمانية تحت المجهر: بالاشتراك مع الدكتور عزيز العظمة)، (دار الفكر، دمشق العالم من منظور غربي دار) ،الهلال، كتاب الهلال، القاهرة 2001م).

*الإنسان والحضارة والنماذج المركبة دراسات نظرية وتطبيقية دار الهلال، كتاب الهلال)

* الفلسفة المادية وتفكيك الإنسان: دار الفكر، دمشق 2002م).

* اللغة والمجاز: بين التوحيد ووحدة الوجود (دار الشروق القاهرة 2002م)

* العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة : (جزءان، دار الشروق القاهرة 2002م، طبعة ثانية

* الصهيونية والحضارة الغربية الحديثة دار الهلال كتاب الهلال، القاهرة 2003م

* دفاع عن الإنسان: دراسة نظرية وتطبيقية في النماذج المركبة (دار الشروق، القاهرة) 2003م

*الحداثة وما بعد الحداثة بالاشتراك مع الدكتور فتحي التريكي، (دار الفكر، دمشق) 2003م

في الفكر الصهيوني

* نهاية التاريخ: مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني (مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، القاهرة 1972م؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1979م).

* موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية رؤية نقدية (مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام، القاهرة 1975م).

* الأقليات اليهودية بين التجارة والادعاء القومي (معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة 1975م)

* العنصرية الصهيونية: (سلسلة الموسوعة الصغيرة وزارة الثقافة والفنون، بغداد 1979م)

* اليهودية والصهيونية وإسرائيل دراسة في انتشار وانحسار الرؤية الصهيونية للواقع (المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت 1976م).

* الأيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم اجتماع المعرفة (جزءان، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، عالم المعرفة، الكويت 1981م، ط 2، ج1، 1988م)

* الإنتفاضة الفلسطينية والأزمة الصهيونية: دراسة في الإدراك والكرامة (منظمة التحرير الفلسطينية، تونس 1987م؛ المطبعة الفنية، القاهرة 1988م؛ الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 2000م)

* الإستعمار الصهيوني وتطبيع الشخصية اليهودية دراسات في بعض المفاهيم الصهيونية والممارسات الإسرائيلية (مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت 1990م).

* هجرة اليهود السوفييت: منهج في الرصد وتحليل المعلومات دار الهلال، كتاب الهلال القاهرة 1990م).

* أسرار العقل الصهيوني: (دار الحسام، القاهرة 1996م).

* الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ: رؤية حضارية جديدة دار الشروق، القاهرة 1997م 1998-2001)

* من هو اليهودي؟: (دار الشروق ، القاهرة ،1997م، 2001م، 2002م).

* موسوعة تاريخ الصهيونية : ثلاثة أجزاء، دار الحسام، القاهرة 1997م).

* اليهود في عقل هؤلاء دار المعارف سلسلة اقرأ، القاهرة 1998م).

* اليد الخفية دراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية (دار الشروق، القاهرة 1998م، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة 2000م؛ دار الشروق 2001م).

* موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية نموذج تفسيري جديد (ثمانية مجلدات، دار الشروق، القاهرة 1999م).

* الأكاذيب الصهيونية من بداية الاستيطان حتى انتفاضة الأقصى: دار المعارف، سلسلة اقرأ، القاهرة 2001م).

* الصهيونية والعنف من بداية الاستيطان إلى انتفاضة الأقصى: (دار الشروق، القاهرة 2001)

* من الانتفاضة إلى حرب التحرير الفلسطينية: أثر الانتفاضة على الكيان الإسرائيلي (عدة طبعات: القاهرة – دمشق – برلين – نيويورك – نشر إلكتروني، 2002م).

مقالات ومحاضرات وبرامج تلفزيونية:

كتب الدكتور المسيري مقالات عديدة باللغتين العربية والإنجليزية في جرائد ومجلات وحوليات عربية وبريطانية وأمريكية أخرى الأهرام الحياة، الشرق الأوسط، الشعب، منبر الشرق، الإنسان، قراءات سياسية شؤون فلسطينية، العربي، إسلامية المعرفة، موقع الجزيرة نت...

Journal of Arabic Studies – Journal of – New York Times

.etc., Palestine Studies – Al-Ahram Weekly

وعدد هذه المقالات عدد كبير جدا منها ما طبع في ثنايا بعض الكتب وأغلبها لم تطبع وجمعت المقالات التي كتبها في سنواته الأخيرة قبل وفاته في موقعه وهذه عينة من مقالاته الدولة الصهيونية بين المأساة والملهاة، الانسان والشيء، الحداثة ورائحة البارود، الأمبريالية النفسية.

كما قدم محاضرات عن اليهود واليهودية والصهيونية وإسرائيل الحضارة الغربية، الأدب الإنجليزي، الهوية العربية الحضارة الإسلامية ، العولمة ... إلخ (كل) أنحاء العالم). وحضر عدة مؤتمرات وندوات فكرية في مواضيع مختلفة غالبا لا تخرج عن الأقسام الثلاثة التي صنف فيها كتبه.

ظهر في العديد من البرامج التلفزيونية ويعتبر ذلك فرصة مهمة يمكنه من خلالها إيصال أفكاره للشباب لذلك لم توان في الحضور إليها من دعى لذلك فعدد المشاهدين بالملايين خاصة في البرامج والقنوات المشهورة، ومن أهم الحصص التي دعي لها حصة بلا حدود والاتجاه المعاكس في قناة الجزيرة.

يعتبر إنتاج المسيري غزيرا جدا وذو قيمة معرفية كبيرة، فقد استطاع بعد مسيرة كبيرة مع التأليف والعطاء العلمي من نشر فكره في أوساط الشباب والأكاديميين، وهذا لأن مؤلفاته وأعماله الفكرية تميزت بالتبسيط الشديد لأعقد المسائل الفكرية والتدليل عليها من نواحي متعددة مع تقديم الأمثلة الكثيرة والبسيطة ذات المغزى إضافة إلى الجانب الإبداعي في التناول والجدة في الطرح، لكن يلحظ أنه هناك كثير من التكرار في كثير من المؤلفات وأن أغلب كتبه تقريبا هي عالة على الموسوعة (اليهود واليهودية)، صحيح أنه صرّح بأنه حاول تفكيك الموسوعة وتناول بعض مواضيعها بالتفصيل في كتب مستقلة لكن أغلبها يبقى شرح لما في الموسوعة مع بعض التعمق في بعضها مثل العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة لكن كتبا مثل الفلسفة المادية وتفكيك الانسان، ودراسات معرفية في الحداثة الغربية، ودفاع عن الإنسان، ورحلتي الفكرية (الأفكار الأساسية)، الحداثة وما بعد الحداثة، والعلمانية (بالاشتراك) هي عالة على الجزء الأول من الموسوعة فضلا عن المواضيع الأخرى المتعلقة بالصهيونية أن هذه الكتب ليس ذات قيمة لكن طابع الجدة ناقص فيها مقارنة مع الموسوعة.ولكن لا يعنيوبالرغم من ذلك كان لهذه الكتب الفضل الكبير في التدليل عن فكر المسيري ونشره في أوساط الناس.

الفصل الثاني: الإتجاهات الكبرى للعلمانية والقومية في الفلسفة العربية المعاصرة

المبحث الأول: عوامل ظهور التيارات العلمانية والقومية في الفكر العربي المعاصر

المبحث الثاني: القومية العربية ومشروع الدراسات الموسوعية للفكر الصهيوني

المبحث الثالث:عبد الوهاب المسيري إتجاه مشروع معاداة الحركة الصهيونية

المبحث الأول: عوامل ظهور التيارات العلمانية والقومية في الفكر العربي المعاصر

1- واقع الدراسات الدينية الإصلاحية في العالم الإسلامي الحديث:

شهد العالم الإسلامي في القرن السادس عشر تغيرات أساسية، ففي السنوات الأولى في هذا القرن إصطدمت قوى الدولة التركية العثمانية بالقوى دولة المماليك، وعقدت أولية الفصل الدولة الأولى وورثت الملك مماليك في الشام ومصر، وقضت على الخلافة العباسية الصورية القائمة في مصر، وإنتزع السلاطين العثمانيين منذ ذلك الحين لقب الخلافة، وأصبحوا بهذا خلفاء للمسلمين بعد أن كانوا سلاطين على دولتهم التركية وحسب.

ثم إمتد الملك الأتراك العثمانيين بعد هذا وفي هذا القرن أيضا تشمل بلاد العرب واليمن في آسيا والجزائر وتونس وطرابلس في إفريقيا، ولم يبقى خارج الملك العثمانيين غير مراكش، وفي أوائل هذا القرن أيضا قامت دولتان إسلاميتان حديثتان في القسم الشرقي نم العالم الإسلامي: الأولى: الدولة الصفوية الشيعية في بلاد فارس، ومؤسسها هو شاه إسماعيل الصفوي (906هـ-1500م) وقد ضم إلى ملكة العراق العربي وديار بكر وشمل مملكة بلاد فارس جميعا، وامنتدت دولته من الخليج الفارسي إلى بحر الخزر وجعل عاصمته في تيبريز.

وقد قام النزاع الآخر بين هذه الدولة ودولة الأتراك العثمانيين وانتصر السلطان سليم الأول في موقعه شالدران (1514م) ولكنه لم يكن إنتصارا حساما ولم يستطع العثمانيون القضاء على ملك الصفويين القضاء التام كما فعلوا بدولة المماليك وكل مانجحوا فيه هو ضم بلاد العراق والجزيرة في عهد مراد الرابع في سنة 1638م وضلت الدولة الصفوية قائمة إلى أواخر القرن التاسع عشر (907هـ-1311هـ/1502م-1893م)

أما الدولة الثانية فهي دولة الأباطرة المغول في الهند ومؤسس هذه الدولة هو بابرشاه من سلالة تيمور لنك، وقد خلفهم من نسله عدد من الأباطرة العظام من أمثال همايون وأكبر وجهانجير وشاه جيهان ثم خلف من بعدهم خلف من الملوك الضعاف وظلت الدولة قائمة إلى انتهت في منتصف القرن التاسع عشر.

فهذه الدول الثلاث إقتسمت الحكم في العالم الإسلامي في القرون السادس عشر والسابع عشر والثامن عشر إثنتان منهما: الدولة التركية العثمانية، والدولة الماغولية في الهند والثالثة الشيعة وهي الدولة الصفوية وهي جميع لم تكن دول عربية الجنس أو اللسان، ولهذا أثره واضح في اضمحلال الدراسات العربية الإصلاحية وإنتعاش الدراسات التركية والفارسية. ولقد بدأ العالم

الإسلامي في القرن السادس عشر قويا مرهوب الجانب لأن الدول الثلاث كانت دول لا حربية، ولكنها لم تلث في القرنين التاليين أن الثالث منهما عوامل الضعف والإنحلال. والسمة الظاهرة الواضحة للعالم الإسلامي في هذه القرون الثلاث هي إنعزاله وإنقطاع الصلة بينه وبين العالم الأوروبي، وفي الوقت كان العالم الأوروبي يخطو خطوات واسعات في نهضته العلمية وفي مخترعاتهم الصناعية وفي إكتاشافاته الجغرافية. أما المسلمون فقد نسبوا علومهم المدنية القديمة وبدءوا يجتازون الكتب القديمة، وقصر إهتماماتهم على العلوم الدينية واللغوية يبدءون فيها ويعبدون، وكان أقصى ما يستطيعه هو الشعر والمدح أحد الملوك أو السلاطين أو يؤرخ بها وفاة واحد منها.

وتدهور المجتمع الإسلامي وانتقلت السيادة على العامة لنفر من المتصوفة الذين أشاعوا كثيرا من البدع المستحدثة التي تتفانى مع روح الإسلام ومع هذا فقد كانت تظهر وسط هذه الغياهب والمظلمة وبين الحين والآخر بعض النجوم المضيئة، تحاول أن تبدل هذا الظلام وتبعث في مجتمع الإسلامي روحا تجديدية. **(جمال الدين الشيال، 2017م،ص 13-15.)**

2- **القومية الوطنية بين النشأة والبروز:**

لقد عاشت الأمة العربية منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين مرحلة هامة في تاريخها حيث حاولت التخلص من السيطرة والحكم العثماني والتطلع إلى الوحدة العربية. وهذا ما تسبب في بروز صدام بين القوميتين العربية والتركية في ظل الحكم العثماني وتعتبر الحركة القومية العربية من أهم تلك الأحداث في تاريخ العرب المعاصر على الساحة العربية والتي مازالت أثرها بارزة إلى حد الساعة.

عوامل القومية العربية:

شغل تعريف الأمة العربية وردها إلى أصولها التي تتألف منها مجالا واسعا من المؤلفات التي كتبت في القومية العربية وكان ذلك ضروريا، لأن كلمة" عربي" إكتسبت مع الزمن أكثر من معنى وتشابه على الناس محتواها الصحيح،وهي تشير اليوم في معناها الحديث إلى مفهوم سياسي بحت دون أن يكون لها محتوى عنصري أو إجتماعي، وهذا التعريف قد تأثر مفاهيم غربية في تعريف الأمة ونستنتج من هذا أن المفاهيم الغربية إتخذت قاعدة كما وردت دونمناقشة أو نقد أو ترجيح فإن من يقرأ مؤلفات العرب القومية بإمعان يلاحظ أن إختيار

المعايير في النظر إلى الأمة، روعي فيه ملائمتها أوضاع العالم الذي يتكلم العربية، عند التطبيق العلمي ومن أهم العوامل القومية العربية نذكر منها:

أ – اللغة:

العامل الرئيسي في تكوين القومية الذي إنعقد عليه إجماع هو اللغة ويرى ساطع الأسري أن الأمم تميز بعضها البعض على أساس اللغة، وهو إذا يقرر ذلك بصورة لا لبس فيها، إنما يستند إلى تجارب الأمة العربية بمقدار ما يعتمد على نظريات المفكرين الغربيين، لأن اللغة كانت حين أسدل الستار على تاريخ العالمية الإسلامية الطويل وأصبح السعي وراء مبدأ جديد للعلاقات الإجتماعية مطلبا جديا أول قاعدة تعينت بها مدارات الولاء وحدود الهوية بين ركام الفئات الإجتماعية المختلفة، وما من أن أحد يستطيع أن يعين درجة التمازج بين الشعوب عبد الاجيال تعيينا دقيقا محكما لأنها كانت على ما يروي التاريخ جد كبيرة، ولكنها لم تستطع أن تقاوم إلا قليلا، تطلع الشعوب إلى جعل الخريطة السياسية منطقية على خارطة لغوية.

اللغة مهمة لأنها الوسيلة التي يعبر بها الشعب عن أفكاره وأحاسيسه، فإزدهارها ونموها لا بفترقان عن إزدهار من يستعملونها ونموهم، فقد كتب الدكتور زريق مثلا في معرض مناقشة عامل اللغة يقول: "وعلى الوعي قوميا (عربي) أن ينظر بعد الجنس في اللغة ويعرف من أين نشأت وكيف انتشرت ويفهم ميزاتها على غيرها من اللغات، والقوى الخاصة التي جعلتها تسود سيادة تامة على هذه الأقطار الشاسعة، فكل لغة بنبوغ خاصة وميزات تنفرد بها عن غيرها من اللغات واللغة العربية من بين اللغات جميعا وقد أظهرت حيوية بالغة في دقة تنظيمها وفي سعة انتشارها وفي مرونتها التي جعلتها أداة صالحة لنقل شتى العلوم والآداب، وهذا كله مما يهب إلى اكتشاف سر هذه الحيوية وفهم القوى الخاصة التي تمثلها لغتنا لكي نستغل هذه القوى في تنظيم الحاضرين وبناء مستقبلنا". (حازم زكي نسيبة، 2013، ص ص 106–107)

ويقال لنا: "أن اللغة هي عامل محوري في القومية العربية، وهذه اللغة في قالبها الراهن لا تزال على الرغم من التقدم الهائل الذي تحقق منذ نصف القرن الماضي أو نحوه في فترة مختلفة، إذا قسيت بغيرها من لغات العالم الحية فقد جعلتها قرون الجمود الخمس التي مرت عليها غريبة عن الإكتشافات الحديثة في كل حقل من حقول المعرفة وكان تخلفها كبيرا بحيث يستلزم جهودا أكثر مما يبذل الآن في مختلف المجامع العلمية والجامعات إذا أريد سد تلك الثغرة وأريد للعربية أن تسترد مكانتها الصحيحة كأداة حية للحياة القومية الجديدة".

ب- التاريخ:

العامل الثاني من عوامل القومية العربية الذي يلي اللغة في أهميته هو التاريخ على ما يرى الحصري الذي يصفه بأنه: "الذاكرة الحية للأمة" ويقول:" إن وحدة هذه التاريخ تولد تقاربا في العواطف والنزاعات إنها تؤدي إلى تمثل في ذكريات المصائب وإلى التشابه في أماني النهوض وأمال المستقبل".

وكذلك يجعل كل من: نقول زيادة ويوسف هيكل، ونبيه فارس، المنزلة الثانية في التاريخ بعد اللغة ورزيق يضع التاريخ في المنزلة الثانية أي بعد اللغة والثقافة، وبما أن اللغة والثقافة تدلان على شيء واحد فليس ثم خلاف بين رزيق وزملائه ولكن العلايلي وحده يرد التاريخ إلى المنزلة الخامسة وضعا قبله اللغة والمصلحة والبيئة الجغرافية والعرق.

(حازم زكي نسيبة، 2013، ص 109)

3- الشعور العام بالإنتماء إلى الأصل الواحد:

حيث يشعر كل فرد من أفراد الأمة بأنه ينتمي إلى هذا الموضوع أو العنصر ومع أنه لايشترط في كل شخص أن يستطيع إيصال نسبه إلى الأجيال البعيدة بل أن الشعور بالإنتماء إلى العنصرية المعينة كافي لذلك، فمثلا إذا ما إعتز الألماني فريديك وبسمارك والإنجليزي شكسبير وجون لوك والفرنسي بروسو وفولتير والعربي بعمر بن الخطاب وأبي علاء فلا يعني أكثر من الإعتزاز بالأجداد الغابرين والفخر بأنه ينتسب إلى نفس العنصر الذي ينتسب إليه هؤلاء الرجال والأهم بالنسبة للعنصر هو ليس إثبات الأصل وإنما عدم وجود شك في أن الشخص ينتمي إلى عنصر آخر إذ ليس منهم التأكد من إنحدار من العنصر بل المهم الإعتقاد بهذا الإنحدار والإعتزاز بصفات العنصر وخصائصه. (جابر عمر، 1948، ص 09)

د. العادات والعقائد:

تجانس العادات يجعل الأفراد المتشابهين في مظهرهم ومتقاربين في حركتهم وأعمالهم كان أن إتحاد العقائد لاسيما الدينية منها يكون الرابطة القوية يدفع كل واحد إلى التعوان مع صاحبه في سبيل تحقيق المثل العليا لهذه العقائد ولا ننكر هنا أن بعض العقائد الدينية كانت حجر عثرة في تكوين القوميات بينما الأخرى تسهل نشوءها وتقوي تقدما، فالدين المسيحي مثلا كان عقبة كأداة في سبيل القومية الألمانية بينما نجد الدين اليهودي صار عاملا فعالا في تقوية الفكرة الصهيونية. (جابر العمر، 1948، ص 11)

نموذج من العوامل القومية العربية في الخلافة العثمانية:

يعتبر نشوء وتطور الحركة القومية العربية من أهم الأحداث في تاريخ العرب المعاصر والذي ما زالت أثارها بارزة إلى حد الساعة، لأن الشعور القومي بصفة خاصة هو أقوى عامل في السياسة الحديثة، وأقوى من أي مذهب سياسي آخر فقد تحطمت تحت ووطأته عدة إمبراطوريات العظمى (فرديريك هرتز، 2011، ص 6)

ومن بينها الخلافة العثمانية التي سقطت تحت وطأة الحركة القومية العربية، التي يعود ظهورها إلى مجموعة من العوامل ظهورها إلى مجموعة من العوامل الداخلية والخارجية والذي سنذكر منها ما يلي:

– الكبرياء الذي تظاهر به بعض الحكام العثمانيين وتكبرهم في تعاملاتهم وتصرفاتهم كان له دور كبير في بروز حساسية زائدة لدى الكثير من العرب، والذين أحسوا بأنهم من الدرجة الثانية. (أبو حسن علي الحسيني الندوي، 2009، ص186).

مما أدى إنتفاض إحساس بعض العرب بكيانهم القومي وماضيهم المجيد، ورغبتهم في إتخاذ الوحدة العربية.

– سياسة تتريك البلاد العربية التي تبناها أعضاء جمعية الإتحاد والترقي بعد أن أحكموا سيطرتهم على الدولة العثمانية في أعقاب خلعهم للسلطان عبد الحميد الثاني 1909م، والتي كانت تحمل العداء للسلام والخلافة العثمانية، وقد دعمت هذه السياسة "بالطورانية"[*].

(محمود ثابت الشاذلي، 1989، ص166)

وبدؤوا في الوقت نفسه بفرض اللغة التركية على معظم الشعوب العربية، والنظر إلى اللغة التركية كلغة رسمية، وعدم إحلالهم اللغة العربية المحل اللائق، وبطبيعة الحال فإن الإصرار على فرضها على الشعب العربي بوجه الخصوص قد أعطى له مبررا لكن يدعوا إلى قوميته ويطالب بالإنفصال.

– إنتشار التعليم الغربي في بلاد الشام وتزايد نشاط المدارس والكليات الأجنبية، والتي كانت تنموا في كنفها الإرساليات النظيرية والتبشيرية والحملات التبشيرية السياسية والعلمية من أجل محاربة القوة المادية للإسلام والإنقضاض على أطرافه قبل الإنقضاض على قلبه، لأنه وجدوا

[*] **الطورانية:** معناها الرجوع إلى خصائص الأسلاف الطورانيين من السكان التركستان في أواسط آسيا قبل دخول الترك في الإسلام والذين رفعوا شعار "الذئب الأغبر" الذي كان معبودهم في جاهليتهم.

في التعليم خير وسيلة لتسيير نشاطاتهم الأساسية وإجراء عملية التحويل الثقافي بهذا يتم التوغل إلى عقول الناس، بحيث لم تكن تخلوا الحضارة أو المدينة من حواضر الدولة العثمانية في بلاد الشام من تلك المدارس، لذلك فإن الدعوة إلى القومية العربية بقيت لفترة طويلة محصورة في نطاق الذين تلقوا تعليمهم على يد الإرساليات في مدارسها وجامعاتها التعليمية والتبشيرية، وكان معظمهم من آباء النصارى في بلاد الشام. (أبو حسن علي الحسني الندوي، 2009، ص187)

– تأسيس مجموعة من الجمعيات التي كان لها دور مهم في نمو الحركة القومية العربية مثل الجمعية الشرقية 1850م وجمعية الآداب والعلوم، والجمعية العلمية السورية 1857م من طرف من المفكرين كمحمد أرسلان وناصف اليازجي، سرية وعلنية في كامل الأقطار العربية والتي كانت تدعوا لوحدة العرب في المشرق والمغرب والتخلص من الحكم التركي ومحاولة تنظيم صفوف العرب داخل الوطن العربي وخارجه للحصول على حقوق متساوية داخل الدولة العثمانية في بادئ الأمر للمطالبة بالإستقلال التام للأمة العربية.

– القومية الأوربية ودورها حيث أفادت الحملة النابليونية في مصر بإلقائها بذور أفكار الثورة الفرنسية بين المصريين كما أفادتهم حملة بإجراءات الإدارية والتنظيمية التي طرحتها قيادة الحملة مثل: إنشاء وزاراة الدولة، الدوائر الحديثة ....إلخ لتمارس نوعا من الحكم الذاتي.

(هاني الهندي، 2001، ص120)

أما من الناحية الدينية المواكبة للحملة الفرنسية، فكان لابد أن يتوقف إمتداد الإمبراطورية العثمانية خاصة بعد نجاح الغرب المسيحي في إسترجاع الأندلس عام 1492م وكانت مصرتحتل الصدارة فيها حكم موقعها وماضيها الحضاري وقد تم من خلالها الإعداد للنهضة العربية الإسلامية من خلال إشعال نار العدائية و الكراهية ضد الإمبراطورية العثمانية.

وقد إستغل الغرب جميع الأوضاع، ومحاولة حلمهم في إنهيار الإمبراطورية العثمانية من خلال تسريب فكرة القومية إلى عقول الغرب وتنفيذها ونقلها من مكان إلى آخر في أوساط العربية والإسلامية.

– النهضة العربية وتأثيرها في تنبيه العرب وإيقاضهم وتعميق الوعي من خلال تطور التأليف في اللغة و الأدب، والنقد والبلاغة. (هاني الهندي،2001، ص198–199)

وكنتيجة لهذا الأخير فقد ظهرت مجموعة من كتابات المفكرين العرب أمثال "نجيب عازوري" الذي نشر عام 1905م كتابه "يقضة الأمة العربية" و"عبد الرحمان الكواكبي" الذي ألف كتاب

"أم القرى" في نقس العام، والذي دعى فيه إلى إقامة خلافة عربية مقرها مكة المكرمة و إلى إنفصال البلاد العربية عن الدولة العثمانية، ولعل الشاعر السوري"إبراهيم اليازجي"[2] كان معبرا عن تطلع للفكرة العربية للدعوة القومية العربية في مواجهة القومية التركية حيث قال :

تنبهوا وإستفيقوا يا أيها العرب فقد طمي الخطب حتى غاضت الركب

أقداركم في عيو الترك نازلة وحقكم بين أيادي الترك مغتصب

(رأفت الشيخ، 1996، ص12)

والتي حفزت جماعة من الشباب المفكرين إلى أن يبدؤوا سعيهم من أجل تحرير وضعهم من الحكم التركي وكان هؤلاء الشباب هم تلامذة "اليازجي" و"البستاني" وأول جيل نشأ على دراسة التراث الثقافي الذي بعثت فيه الحياة، و بذرت البذرة الوطنية وظهرت في وجود الحركة العربية تشكل أهدافها في القومية. (جورج أنطونيوس، 1987، ص175)

– إتباع الاتحاديين[3] سياسة مركزية في الحكم ذلك أنهم عملوا على دمج جميع الأقليات و الولاياة الغير تركية التابعة للدولة وجعلوا حكم هذه الولاياة وجميع ما يتعلق بشؤونها الداخلية و الخارجية في أيديهم ولم يتيحوا لأهلها العرب أي فرصة للمشاركة في الحكم ويبقوا تحت قبضة الحكم المركزي الإستبدادي. (عمر فروخ، 1980، ص304)

المراحل التي مرت بها العلمانية في الغرب:

الذي يتابع النشأة العلمانية و مداولاتها وتطوراتها يلاحظ تفاوت في مفاهيمها لدى كثير من المفكرين، الذين إرتادوا ميدانها، ودافعوا عن نهجها في الفكر والمجتمع والنظرية والتطبيق، لكن هذا التفاوت لا ينفى إمكانية تحديد طورين و مرحلتين مرة بها العلمانية في الفكر الأوروبي:

المرحلة الأولى: تلك المرحلة التي كانت العلمانية فيها تعنى عزل الدين والكنيسة وشؤون المجتمع ومؤسساته لحساب بناء دولة برجوازية، وفي سبيل دعمها والسعي لتصفية اللاهوت المسيحي الكاثوليكي وتنقيته من ما هو غير عقلاني مثل: أسرار عقيدة التثليث، وطبيعة الإلاهية للمسيح، والعمل على رفع الوصاية الدينية للكنيسة عن التعليم، تمكينا لفطرة الإنسانية

[2] **إبراهيماليازجي:**(1847–1906) ولد ببيروت من رواد النهضة الادبية واللغوية العربي درس العربية عن أبيه ناصيف، أسس مجلة البيضاء (منير بعلبكي، 1992، ص131)

[3] **الإتحاديين:** هي كلمة مختصرة لأتباع حركة الجمعية الإتحاد و الترقى التي إنبثقت عن التركية ذات صبغة الطورانية(تجديد التاريخ تعليله و تدوينه ط1 – دار الباحث بيروت، 1980)

من إختيار وعرفت أوروبا العلمانية بهذا المعنى في ظهورها الأول عند الفلاسفة والمفكرين" هوبز، لوك، روسو" وتسمى هذه المرحلة بالمعتزلة وهي تلك المرحلة التي إعتبر فيها الدين أمرا شخصيا لا شأن للدولة فيه ولكن الدولة تقوم بحماية الكنيسة وخاصة بالضرائب والعلمانية وهي تسعى إلى فصل الدولة عن الكنيسة تبرر ذلك باحرص على الدين المسيحي نفسه من أن يدخل الميادين السياسية، والإجتماعية ليست في إختصاصه، كما أنها تبرر ذلك بالحرص على إستقلال سلطة الكنيسة الطاغية وعندما تعمل العلمانية على فصل أو إبعاد المؤثرات والمبادئ الدينية من حيات المجتمع ترفع شعارات التحرر والتقدم مشيرة إلى خلو المسيحية من التعاليم في تلك الميادين.

وقد تم في هذه المرحلة تقسيم العمل بين الدولة والكنيسة فالدولة لها الحق السياسة والإقتصاد والتعليم العام والتشريع أما الكنيسة لها ما يتعلق بالأسرة من الزواج ومراسيمه وطقوس الوفاة ونظام الرهبنة وحكم إلغاء الزواج ...إلخ. (جمال فؤاد خليفة،2021، ص41)

إلى هنا نستطيع القول أن هناك دوافع وأسباب جعلت رجال هذه المرحلة يقومون بفصل الدين عن الدولة وقد حرص الدكتور"البهي" هذه الدوافع في كتابه (العلمانية والإسلام) وفيه عدة نقاط:

1- الحرص على سيادة الدولة والسيادة المطلقة في مواجهة سلطة الكنيسة ووصاياهم السابقة في القرون الوسطى.

2- إتهام المسيحية بأن تعاليمها تتنافى مع العقل.

3- النظر إلى الدين في التربية على أنهَ ضد الطبيعة.

4- النزاع الذي دار بكثرة وشغل الفكر حول السلطة الدينية وسلطة المدينة.

المرحلة الثانية: هي مرحلة العلمانية الثورية التي مثلها فلاسفة ثروبون من أمثال "فيرياخ و ماركس ولينين "وه مرحلة إستهدفت فيها هذه العلمانية الثورية هدم الدين وتخصص الإشتراكية ومجتمعها لتأثيراته، وذلك لحسا العدل الإجتماعي كما يزعم دعاة الشيوعية ثم السعي إلى مجتمع يزول منه الدين تماما وتنمحي منه مؤسساته.

وهذه المرحلة مرحلة الجناح اليساري أو مرحلة العهد المادي، أو ما يسمى بالثورة العلمانية على حد تعبير الدكتور" البهي" وقد تبلورة هذه المرحلة في الفكر الماركسي إلى إلغاء الدين بكله، ونبذه من حياة المجتمع والأفراد وإستبدال المادة والعقل محله، وإعتبر الفكر الماركسي الملحد الدين خرافة والموجود هو المحسوس وأساس الدولة ليس هو الله ولا الدين،

وإنما أساسهما الإنسان وحاجته، وليس الإنسان فرد بل جماعة عمال ولذا يجب أن تكون جماعة عمل هي المعبود في مكان العبادة (جمال فؤاد خليفة،2021، ص45)، ومهما يكن من الأمر فإن العلمانية بدأت في مرحلتها الأولى بفصل الدين عن الدولة، ولكنها لم تقتصر على ذلك بل تغير مخططها في مرحلتها الثانية ليستهدف إبعاد الدين عن الدولية من كل ميادين الفكر والحياة سواء كانت سياسية أو إقتصادية أو تعليمية ويقتضى ذلك كما يقول الأستاذ" أنور الجندي":{أن تخلوا دساتير هذه الأمة من أي إنتماء ديني أو جعل شريعة الدين مصدر لقوانينهم}. (أنور جندي، د.س، ص24)

فالدعوة العلمانية نتاج اليهودي التلمودي في سداها ولحمتها فهي ليست إلا فكر مخططات التلمودية التي مارستها البروتوكولات حكماء الصهيون التي يخفى لكل سطر من سطورها حلم الصهيونية ومن مضمونها وحقيقتها ودينها، وسلخها من عقيدتها ، الدعوة المعروفة مصدر هي الصهيونية في ثوب العلمانية الصليبية.

دعوة العلمانية تحمل عوامل أربعة هي:

1- الديمقراطية التي تحل الإيمان بالدولة محل الإيمان بالعقيدة.

2- القانون الوضعي يحل محل قانون السماوي محل شرع الله.

3- التعليم اللاديني يحل محل التعليم الديني الإسلامي.

4- النظام الإقتصادي القائم على الربا يحل محا الاقتصاد الإسلامي.

هذه الدواهي الأربعة فرضها الإستعمار على العالم الإسلامي وذلك كخطوة أولى يتولاها تحقيق الهدف الأكبر، وهو علمنة المسلمين وإخراجهم كليا من الإطار الإسلامي، والمسلمون يدركون جيدا ويؤمنون إيمانا لا يتزعزع وأن حقيقة النصر مرتبطة إرتباط كاملا بإلتماسهم عقيدة الإسلام و صيانتهم لها وتحرير أنفهم من تبعية لأي فكر دخيل مستورد وإحياء فريضة الجهاد والعمل على تحكيم شريعة الله تعالى وبناء أجيال على أساس المنهج الإسلامي .

والعلمانية تعني رفض القوانين التي يكون مصدرها الوحي الإلاهي وهي بذلك لا تساير شرائع السماوية فهي تحل الفواحش والربا ولحم الخنزير وسائر المحرمات الواردة في القرآن الكريم و في الكتب السماوية الأخرى كالإنجيل والتوراة لمجرد أن مصدرها الدين طبقا لما إستقر عليه النظام العلماني بقاعدة فصل الدين عن الدولة.

3- الأمبريالية الصهيونية ودورها في فصل الدين عن الدولة:

لقد كانت الصهيونية دورا بارزا في تغيير ملامح المسيحية من ديانة تدعو إلى توحيد الله تعالى إلى ديانة تقول بالتثليث ولذلك كان من سهولة بمكان القضاء على المسيحية و إبعادها عن شؤون الحياة وقد حرصت الصهيونية على ترسيخ العلمانية من اجل سيطرت ذلك ومن أجل إزالت الحاضر الديني الذي يقف أمام اليهود حائلا بينهم وبين أمم الأرض وفي الخصم الحوادث التي إنفجرت في أوروبا نتيجة للغلو الكنيسي، الذي أوجد التذمر العام من الدين، وجد اليهو فرصتهم في الإنتقام من المسيحية، فقد كان لهم مصلحة في سقوط المسيحية وفصل الدين عن الدولة ويقول " وليام غاي كار" :(لقد كان لليهود دورا وراء فكرة فصل الدين عن الدولة) والذي ينظر ويتمعن في تاريخ اليهود، يجد أساس كل البلايا التي أصابت الإنسانية وهم أيضا وراء كل تزييف لحق المعتقدات الدينية الصحيحة فلا يخفى على أحد أثرهم في تحريف الديانيات السماوية وكذلك طمس الديانة المسيحية بزعامة "شاول" اليهودي في المسيحية المحرفة وما قام إبن سوداء" عد الله إبن سبأ" اليهودي الأصل الأديان الأخرى إلى السير من الجهد حتى تتبع المسيحية في إنهيار وسينحصر الدين ورجاله في أضيق نطاق حتى تزول عنه الهبة وتسقط الحرمة وتفقد تعاليمهم الأثر الطيب التي كانت تجده من قبل.

وقد ظهر في ألمانيا الفيلسوف نيتشه، وهو يهودي الجنس، واتخذ العلمانية منها ودعا الناس إلى فصل الدين من الدولة ومن لرباع مؤسس أول مدرسة علمانية في ألمانيا، وكانت عقيدته عدم الاعتراف بالأديان السماوية، وقد من ذلك بقوله "يمكن للإنسان أن يعتنق دينا أرضيا صافيا، وبه يبتعد عن ديانة السماء، وهو يرى ضرورة الانتقال الإنسان من الدين إلى المادية المتطرفة، فهي تحل محل الإيمان بالدين الإلهي في نظره.

ومن بعده جاء "كارل ماركس"، الملعب بهذا الملعب، أي في إبعاد الدين من التشريعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والفرد "ماركس بإنكار وجود الله تعالى، وبالتالي إنكار العبادات التي تعد في الفكر العلماني من المسائل الشخصية.

ولهذا يرى الدكتور جلال أحمد أمين أن التيار الماركسي فرع من فروع التيار العلماني، ولا يختلف عنه إلا في أنه يستوحي مصدراً أخر من مصادر الفكر، بتأكيده على قضية الصراع الطبقي.

أي أن العلمانية الغربية، واللادينية الماركسية – اليهودية – تتفقان في أن الإصلاح المنشود يكون عن طريق استبعاد الدين، وقد وضع الأستاذ عباس محمود العقاد" دور اليهود في ظهور المذاهب الهدامة في مقال له تحت عنوان الوجودية الجانب المريض منها، حيث يقول ولن تفهم المدارس الحديثة في أوربا، ما لم تفهم هذه الحقيقة التي لا شك فيها، وهي أن أصبغة من الأصابع اليهودية كامنة وراء كل دعوة تستخف بالقيم الأخلاقية، وترمي إلى هذه القواعد التي يقوم عليها مجتمع الإنسان في جميع الأزمان.

فاليهودي كارل ماركس "وراء الشيوعية التي تهدم قواعد الأديان والأخلاق. واليهودي دور كايم "وراء علم الاجتماع، الذي يلحق نظام الأسرة بالأوضاع المصطلعة، ويحاول أن يظل كثارها في تطور الفضائل والآداب، واليهودي مارتر "وراء الوجودية التي نشأت معززة بكرامة الفرد، فصنع بها إلى حيوانية تصيب الفرد والجماعة بانات المنوط والانحلال، ومن الخير أن تدرس المذاهب الفكرية، بل الأزياء كلما شاع منها مذهب جديد في أورياء ولكن من ر كل الشر أن تدرس بعناوينها وظواهرها، دون ما وراءها من المذاهب الفكرية، بل الأزياء الفكرية، كلما شاع منها مذهب جديد في أورباء ولكن من الشر كل الشر أن تدرس بعناوينها وظواهره ا وراءها من عوامل المصادفة العارضة، والتدبير المقصود.

حقا فقد أطلقت به البهو التحقيق مخططاتهم الشريرة بصورة لم تكن متاحة لهم من قبل، فقد استطاع اليهود أن يتسلموا قيادة المجتمع الأوربي يعملون ظاهرين ومسترين، ووضعوا المجتمع الأوربي بين فرامهم، وكانت النتيجة المار المذاهب التي تهدم المجتمع لإنتاج جيل ملحد، وكان أبرز ما شخص عن هذه الصراعات الانحلال الأخلاقي والتفكك الأسري، وتزعم هذا الاتجاء دوركايم بنظريته الإجتماعية، أو الدعوة إلى الإتحاد، والقول بأن الطبيعة تخلق كل شيء ولا حد لقدرتها على الخلق كما يدعي أنصار ملعب التطور من الداروينيين.

فالعلمانية في السيف السلط الذي حظم به اليهود القيد الذي يفصلهم في كل مجتمع، ويحول بينهم وبين السيطرة العمودية، وأن الفصل بين الدين والدولة في الفكر الغربي الصيحي مفهوم لا غرابة فيه، ومنه المكن سلامية بدين بأموال. إقامة العلمانية التي كانت أكبر ركيزة في تأكيد القوة العمودي في المجتمع الغربي، ويؤكد ذلك الأستاذ أنور الجندي بقوله: إن الدعوة العلمانية هي نتاج يهودي تلمودي أصيل كان له أبعد الأثر في الفكر الغربي.

ويقول الدكتور الفاروقي علينا أن تتذكر أن تحرر اليهود لم يأت إلا النتيجة النمو العلمانية في التنظيم السياسي والاجتماعي، أي أن إقصاء الدين من السياسة والاقتصاد والاجتماع أدى إلى اختبار المنفعة العامة والإنتاج والخبرة والأهلية كأساسي لجميع المعاملات والتنظيمات" (جمال فؤاد خليفة 1443هـ-2021م، ص ص 49-50)

المبحث الثاني: القومية العربية ومشروع الدراسات الموسوعية للفكر الصهيوني

أولا: المصادر العربية:

الوضع السياسي للعالم العربي:ولد المسيري وترعرع في فترة قلقة ومضطربة مليئة بالأحداث السياسية في مختلف أنحاء العالم خصيصا الإسلامية فقد تابع الباحث في تلك الفترة دراسة أوضاع الحربين العالميتين ونكسة العالم الإسلامي بسقوط الخلافة الإسلامية التي كانت من ضمن مقررات المؤتمر الصهيوني الأول بزعامة (هرتزل)

(أحمد إبن عبد الله إبن إبراهيم الزغيبي، 1998، ص232)

ببال بسويسرا 1897م وأنه في حالة إستمرار رفض عبد الحميد الثاني لمطالب الصهيونية فإن تحطيم أمير الإمبراطورية العثمانية شرط لابد منه لإقامة حكومة صهيونية في فلسطين إضافة إلى نشوب الحروب العربية في مناطق الشرق الأوسط التي كان لها بالغ التأثير في نحت فكر عبد الوهاب المسيري إزاء واقعه العربي والإسلامي وإزاء الواقع العربي المخالف للواقع الأول ومن أهم هذه الحروب:

- **الحرب العربية الإسرائيلية الأولى:** مدتها 8 أشهر شنتها الدول العربية من بينها مصر على إثر إعلان قيام الدولة الإسرائيلية في 15ماي1948م والتي إنتهت بهدنتين.

- **الحرب العربية الإسرائيلية الثانية:** أو ما يعرف بالعدوان الثلاثي على مصر قامت هذه الحرب ضد مصر وهي الحرب التي شنتها إسرائيل إنجلترا وفرنسا عام 1956م عقب تأميم مصر لقناة السويس وقد توقفت هذه الحرب بسبب تدخل الاتحاد السوفياتي وأمريكا.

- **الحرب العربية الاسرائيلية الثالثة:** قامت بها إسرائيل على بعض الدول العربية وعلى رأسهم مصر في 5 جوان 1967م والتي إنتهت بهزيمة هذه الأخيرة، إضافة إلى نكسات فلسطين بين صفقة الأسلحة الفاسدة والتي إنتهت بضياع القدس الشريف لصالح إسرائيل، وكل هذه العوامل كان لها أثرا سيئا على نفسية المسيري وإهتمامه الفكري.

- **الحرب العربية الإسرائيلية الرابعة:** عام 1973م تسمى بحرب رمضان لأنها وقعت في هر رمضان في حين يطلق عليه اليهود "حرب الغفران" قادتها كل من سوريا و العراق ومصر ضد الإحتلال الإسرائيلي والتي إنتهت بخروج إسرائيل من سيناء بموجب إتفاقية "كامب دافيد" مقابل إعتراف مصر بإسرائيل سياسيا.

(عبد الوهاب الكيالي، 1993، ص 207-208)

وكل هذه الحروب عصرها عبد الوهاب المسيري حيث شكلت له رافدا من روافد فكره مما خلفته من مساوئ على المجتمع العربي الإسلامي حتى وإن كان بعضها قد حدث والمسيري في أمريكا، إلا أنه كان متتبعا لجل أحداث العالم العربي فكل هذه العوامل ساهمت في بلورة النظرة النقدية وربما حتى العدائية إتجاه الحضارة الغربية المادية المرتكزة على الكيان الصهيوني واليهودي، وجعلته يسهب في دراسته للفكر الصهيوني و اليهودي بدوافع موضوعية حتى تسقط كل الأقنعة الغربية ويبين سلبياتها وقد وصل به الحد إلى التفكير الفعلي في تغيير تخصصه في مجال الأدب الإنجلزي إلى الإهتمام بالقضايا السياسية الغربية والعربية ومسائل الأديان التدريجي وإكتشف العلاقة التي تربط بين إسرائيل أمريكا و الإستعمار يقول المسيري (... حينما ذهبت إلى أمريكا للدراسة إكتشفت أن إسرائيل جزء من الإستراتيجية الغربية، وقد غيرت تجربتي مباشرة هذه من وجهة نظري وجعلتني أدرس القضية الفلسطينية ومسألة الصهيونية وكل هذا في الواقع جعلني أقرر أن أتخلى عن دراستي للأدب الإنجليزي وأستمر في دراسة الصهيونية). (محمد الدميني، 2002، ص84)

ولأن الإشكالية الإستيطان الإسرائيلي من أهم الإشكاليات العالقة في الفكر العربي لقي المسيري تشجيعا ماديا ومعنويا من قبل أسامة باز "مستشار حسني مبارك".

(عبد الوهاب الكيالي، 1993، ص210)

الوضع الثقافي: لقد كان الوضع الثقافي بمصر في بدايات حياة المسيري يمتاز بالإيجاب فمصر كانت تمتاز بالكفاءات العلمية بحكم حضارتها ومكتبة الإسكندرية التي تزخر بمصادر فكرية قيمة تنافس به مكتبة أثينا اليونانية هذه الكفاءات تم إستغلالها وإنشاء عدد معتبر من الجامعات المتطورة كيفا بشكل نسبي مثل جامعة عين الشمس، جامعة محمد علي بأسيوط إلى جانب جامع الأزهر الشريف الذي أصبح له معاهد وكليات للدراسات الإسلامية تدرس بمناهج معدلة ليست تقليدية محضة بل لها خصوصية علمية أيضا، ومن أهم المظاهر الثقافة المصرية في الفترة الحديثة لاسيما بعد الثورة 1956م ومجانية التعليم و إجباريته ونهضة الفن في المسرح ونهضة الصحف سواء كانت تابعة للأحزاب أو مستقلة ،إذ كانت تصدر أكثر من 70 صحيفة ومجلة أداة إلى خلق تنافس من أجل رفع المستوى السياسي والفكري بين أواسط الناس (محمد حسين هيكل، 1998، ص90) ومن أهم هذه الصحف نذكر: الأهرام السياسية، جريدة

الشعب، الصحف اليهودية التي كانت تصدر من قبل الأقليات الدينية منها:المنبر اليهودي التي كانت تصدر من طرف اليهودي المصري "جاك ربان".

(أحمد عزت عبد الكريم، 1970، ص145)

هذه الصحيفة كانت لها خلفية سياسية هي الدعوى للحركة الصهيونية والدولة الإسرائيلية فقد عرفت مصر والإسكندرية تأسيس أزيد من 14 جمعية ومجلة صهيوينية تروج للمشروع الصهيوني اليهودي نحو دولة إسرائيل (أحمد عزت عبد الكريم، 1970، ص145)، ولعل أثر هذا الرافد الثقافي في بلاد المسيري تترجمه لنل موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية التي حملت المسيري على عاتقه أعبائها لتقديم دراسة تحليلية شاملة ونقدية لتلك الجماعات دامت أزيد من ربع قرن من بع الباحث.

الوضع الإجتماعي والإقتصادي :

على الرغم من إنحدار المسيري من أصول عائلة عريقة وجد ثري إلا أن الوضع مصر غير مستقر إجتماعيا وإقتصاديا الذي عايشه المسيري جعله ناقما عن هذه الظروف كما أشار بذلك في سيرته فمصر عرفت مرحلتين على مستوى الحياة الإقتصادية:

الأولى قبل الثورة 1956م:

تميزت بسيطرة الأجانب على مقاليد الإقتصادالمصري لقول وزير المالية "عبد الجليل العمري" واصفا تلك الحالة:{لقد كان الإقتصاد المصري كلبقرة ترعى في أرض مصر ولكن ضروعها كانت كلها في خارجها}.(محمد حسين هيكل، 1998، ص91)

الثانية بعد قيام الثورة 1956م: تميزت بعودة الأراضي لأصحابها من المصريين و تخلص الإقتصاد المصري من قضية الأجانب وإقامت المشاريع الإستثمارية التنموية الصناعية و الزراعية وبدا مستوى المعيشة ينتعش تدريجيا لأن الخسائر الإقتصادية التي ألحقتها إسرائيل بمصر كلفتها ما قدره 40 مليار دولار الأمر الذي إنعكس على مرافق الخدمات كإنخفاض الأجور ونقص السلع الضرورية(أحمد عزت عبد الكريم، 1970، ص145) إذا عد الإصلاح الزراعي تم القضاء على الظلم الإجتماعي كما تم في عهد جمال عبد الناصر تحقيق مساواة بين جميع المواطنين بما في ذلك اليهود والأقباط الذين يعود وجودهم في مصر إلى قبل الفتح الإسلامي حيث مكنهم عبد الناصر من حق التواجد القانوني والسياسي في مصر من خلال تنصيب ممثلين انتخابيين منهم في دوائر الانتخابية.

ثانيا: المصادر الغربية :

إن لدراسة المسيري في الغرب لاسيما الجماعات الأمريكية وفرت له عدة فرص ليقتبس منها الطابع الخاص لفكره فقد كان لأساتذة المسيري في صقل أفكاره وتوجيهها الوجهة الصائبة ومن أهم هؤلاء:

الدكتور جمال حمدان والذي كان يمارس نشاطه الفكري بأمريكا فهو صاحب كتاب "اليهودية الأنثرولوجيا" يقول فيه المسيري (بعد أن إنتهيت من كتابة مووعة اليهود واليهودية والصهيونية النموذج التفسيري والتصنيفي جديد جلست لأتمل في مصادر فكري فهالني حجم تأثيري به في طريقة تفكيري، لقد جاء بكتابه الكثير من المعلومات والوقائع فأخذت منها ما أخذت وإستبعدت ما إستبعدت ولكن بقي ما هو أهم بقي فكره و رؤيته ومنهجه فمن الواضح أنني تعلمت من جمال حمدان رفض الوحدية المادية العلمية والتعصب للمناهج الرياضية وإعادة الإعتبار للخيال والمجاز والحدس لعملية التفكير العلمي ومن أهم ما تعلمته منه هو الخروج بالظواهر اليهودية والصهيونية من دائرة التوراة والتلموذ والدراسات اليهودية وإدخالها في نطاق العلم الإنساني العام ووضعها في عدة سياقات تاريخية لتصبح ظواهر مختلفة ذات ابعاد مختلفة وليست ظاهرة واحدة مغلقة تتسم بالوحدة ولكن أهم ما تعلمته منه هو ما تعلمته من أساتذته مثل"د.إميل جورج"و"د. نور الشريف" و"د.دافيد وايمر" طريقة التفكير النظر وكيفية التعامل في المعلومات وتفسيرها. (جمال حمدان، 1996، ص41)

ومن أهم الكتب على سبيل لمثال لا الحصر التي ساعدت في بلورة فكرة كتابات"كارل ماركس"، (عبد الوهاب المسيري، 2009، ص390)، التي تبنى فيها المنهج التحليلي حيث كانت تشكل مرجعية المسيري العامل الذي جعله إعتنق الماركسية كمنهج و رؤية إلى جانب عامل سياسي في مصر وخارجها، حيث نشأ في محيط وجو سياسي الذي كون له نزعة الحس

القومي وهنا درس المسيري الفلسفة بصفة عامة والفلسفة المادية بالخصوص حيث كان يتسائل كثيرا حسب قوله عن أصل الكون الحقيقي؟ وعن أصل الشر في العالم؟.

(عبد الوهاب المسيري، 2009، ص233)

حاول المسيري مرارا الإجابة عن هذه الأسئلة لكنه لم يعثر على الإجابة الكافية فقرر أن لا يصوم ولا يصلى حتى يجد الإجابة وحجته في ذلك أن الإيمان وعدم الإيمان سيان كان هذا

القرار عاملا لميلاد نزعة الشك فيه بقوة نتيجة الفراغ العقائدي والروحي الذي أصبح يعيشه فعوضه بالتوجه لقراءة الفكر الماركسي وترجمة كتاب "ماوتسي تونغ" التناقض عام 1957م فإنه قضى ربع قرن تقريبا مع الفكر الماركسي الأمر الذي ساعد على بلورة توجهاته الإيديولوجية و االمنهجية إزاء الحضارة الغربية عموما ورؤيته للفكر الإسلامي من جهة أخرى كما كان لها علاقة مع المؤرخ الأمريكي الكبير "كافين رايلي" وبما أنهما الإثنين ماركسيين أسسا منتدى إشتراكيا تلقى فيه جملة من المحاضراة ذات موضوعات مختلفة الأمر الذي ساعد المسيري على إلقاء المحاضرة الاولى عام 1967م تحت عنوان "إشتراكي عربي يتحدث عن الصراع العربي الإسرائيلي". (عبد الوهاب المسيري، 2009، ص235)

التي تعد نقطة تحول في المسار الفكري للمسيري من مجال الأدب إلى القضايا العالمية الكبى كالعنصرية والصهيونية وعلاقتها باليهودية وأزمة الحضارة الغربية وصورها المتحيزة للأطر المادية بعيدا عن القيم الإنسانية وإشكالية التحيز الآخر لها.

لكن معظم الظروف التي مر بها المسيري كانت بمثابة إرهاصا أولا لعودة الدين الإسلامي والدفاع عن قضايا من خلال مواقفه النقدية التي تمحورت ضد الحضارة الغربية بكل أشكاله وأيضا كان المسيري متأثرا بفلسفة كانط من خلال كتابه "السلام الدائم" وذلك من خلال ما لمسناه في مشروعه الفكري من تقارب في الدعوى إلى الإهتمام بالجانب الإنساني العالمي.

إن الذي يفهم من توجه المادي للمسيري من خلال إنغماصه في عوالم الحضارة الغربية وتبنيه للأفكار الماركسية هو أن هذا التوجه له تأثير سلبي وآخر إيجابي حسب قول المسيري:(فمن الآثار السلبية تركتها على فكره إعتماده على مفهوم الصراع الطبقي ووسائل الإنتاج أو التفسير المادي الإقتصادي).

المعيار الوحيد والنهائي في التفسير أما في آثار الإيجابية فتتمثل في أنها مكنته من التعرف على أحد أهم النماذج المادية المهيمنة على العالم في ذلك الوقت من الداخل ومعرفته كمواطن القصور والضعف في هذا النموذج ثم التصدي له ومحاربته و التحذير منه. (عبد الوهاب المسيري، 2009، ص123)

العالم الخارجي حسب المسيري متعصب وأناني يدعى الموضوعية لكنه كونه بعيدا عنها يستتر وراء الفلسفة النفعية أو البراغماتية التي تراعى المصلحة الخاصة دون العامة، فكل

تطوراته الحضارية ومظاهره المختلفة موجهة لخدمة ذاته وأغراضه في حين يصاب الآخر بعدم الثقة والإضطراب لتأخره فبدل الإبداع يزداد تعلقا وتقليد للدول الغربية، وهنا تتولد في العالم العربي إشكالية أخرى تتجاوز حدود التقليد والإنفتاح والإبداع إلى التفسخ الكلي أو الذوبان والحلول للحضارة الغربية نتيجة تحيزه لها، يذكر أن المسيري لما طرح عليه سؤال فحواه:{إلى أي فكر أو إيديولوجية أو تيار يمكن تصنيفكم؟.

أجاب قائلا: من ينظر في مؤلفاتي توجهي إسلامي عام وأنا أعتبر نفسي ضمن التيار الإنسانية الإسلامية بمعنى أنني أدافع عن كل ماهو إسلامي يتضمن قيما إنسانية}.

(أشرف سعيد، 2003، ص3)

المبحث الثالث: عبد الوهاب المسيري اتجاه مشروع معاداة الحركة الصهيونية

الخطاب العربي وقراءة الظاهرة الصهيونية:

يقدم المسيري خطابا عربيا جديدا حيث أسهم في تكوين الخطاب العربي الإسلامي الجديد خطابا مركبا يقدم رؤية منهجية مختلفة في رؤية وإدراك الحضارة الغربية والصهيونية والعمانية المادية الشاملة ونقد الحداثة وما بعد الحداثة، ورسم ملامح الخطاب الإسلامي المطلوب في هذه اللحظة التاريخية الحرجة حيث قدم نماذج توليدية نقدية أضيف عليها رؤيته في فكره الخاص حتى أصبحت مقترنة به تمام الإقتران.

وقد تجاوز المسيري الخطاب العربي السائد حول العلمنة حيث وضع الصهيونية في إطارها الصحيح وإعتبارها من الإفرازات الحضارة الغربية ونتيجة طبيعة لأحد نماذج العلمنة المتطرفة ويدعوا إلى إدراك العلمنة في جوانبها الغير الإنسانية وأزمتها في مجال القيم والأخلاق التي هي أساس رؤى العدل والحرية وبذلك ينقل المسيري العقل العربي إلى مساحات جديدة ويتجاوز الجدل العميق ودون الدخول في الخطاب السياسي المغلق والضيق، والعودة إلى نموذج الإسلامي لدى المسيري لم تكن عودة فردية بل كانت عودة لنموذج معرفي كلي متجاوز، يضع الإنسان في قلب المنظومة المعرفية ولذلك كانت عودته متواكبة وتطويره لفكرة نماذج تحليلية في فهم الظواهر، لا ننفي الآخر فكرا أو معرفة فبدون نظريات كبرى لا توجد نماذج معرفية تعينا على ترتيب تراكم المعلومات، لنستخرج منها معرفة تحليلية لنكون من ثم قادرين على تفسير الظواهر والإستشراف المستقبل. (عبد اللطيف زاكي أبو هاشم، 2013، ص 44)

تعريف الصهيونية:

شاع مصطلح الصهيونية في اللغة العربية وإفترض أن الصهيونية حركة عالمية أي: تمارس نشاطها بين جميع أعضاء الجماعات اليهودية في كل البلاد، فالحركة الصهيونية حركة عنصرية قائمة على ديباجات وخلفيات دينية وتراثية والقومية واليهودية، وشرط نجاحها المرتبط بإلغاء حقوق أهل فلسطين العرب في أرضهم وحلول مكانهم ولا فرق في جوهر الفكرة الصهيونية بين التيارات العلمانية أو الإشتراكية السياسية، فالصهاينة كلهم في نهاية صهاينة توفيقيون يسعون إلى أهداف عليا نفسها.

كثرة تعاريف الصهيونية بأنواعها المختلفة وأسباب نشأتها ومدى إرتباطها بتاريخ الحضارة الغربية حيث أنها: "حركة عنصرية دينية إستطانية تطالب بتوطين اليهود في فلسطين وإقامة

دولة لهم على حساب حقوق الشعب العربي الفلسطيني وتنسب الصهيونية إلى جبل **(صهيون)** الصهيون الذي يقع إلى جنوب من بيت المقدس، وقد إرتبطت الحركة الصهيونية الحديثة بشخصية اليهودي النمساوي (هرتزل) الذي يعد داعية الأولى في الفكر الصهيوني الحديث والمعاصر، حيث تقوم على أرائه الحركة الصهيونية في العالم".

ومعنى كلمة الصهيونية بالعبرية هي حركة سياسية تدعي أنها يهودية إلى أنها لا تستلزم بأي شرع أو تعاليم إذا إنها علمانية أساسا، كان هدفها الرئيسي إقامة دولة يهودية في فلسطين وذلك بتشجيع هجرة اليهود في أنحاء العالم كافة إلى فلسطين (إيريتيس إسرائيل) حسب تسمية اليهودية التقليدية وإقامة تجمعات يهودية جديدة في هذه البلاد في ماي 1948م، بدأت الصهيونية في العمل لتحقيق هذا الهدف بتأسيس (دولة إسرائيل) وإعتراف بعض دول العالم بها، أما بعد تأسيس إسرائيل وتستهدف الحركة الصهيونية تعزيز العلاقات بين لمجتمعات اليهودية وفي أنحاء العالم ودولة إسرائيل وتشجيع اليهود من بلدان مختلفة والهجرة إليها.

كلمة (الصهيوني) مشتقة من كلمة (صهيون) هي أحد ألقاب الصهيون الجبل الذي يسمى بـ (جبل داود) عند الملمين المقدسين والذي يعد الأقرب هيكل سليمان في القدس كما هو مذكور في الصحائف المقدسة لدى اليهودية والمسيحية، وتعتبر كلمة (صهيون) عن الأرض الميعاد عن اليهود وعودة اليهود إلى تلك الأرض.

إصطلاحا:

فكر وحركة سياسية هدفها توحيد اليهود في الشتات وإسكانهم في فلسطين، وتوجت جهودها بإقامة دولة إسرائيل عام 1948مم، أول من إستخدم مصطلح الصهيونية هو **ناثانبرنياوم**عام 1864- 1937م، الفيلسوف اليهودي النمساوي عام 1890م، وتم عقد أول مؤتمر صهيوني في مدينة بال بسويسرا ليتم تطبيق الصهيونية بشكل عملي على فلسطين فعملت على تسهيل الهجرة اليهودية ودعم المشاريع الإقتصادية اليهودية. (جوني منصور، 2009، ص 292)

وعرفها الباحث جوني منصور فقال: "إسم لحركة إيديولوجية تقدم نفسها على أنها تعبير عن الرغبات والطموحات الشعب اليهودي في العصر الحديث وفي مقدمتها: (العودة إلى أرض إسرائيل) على حد التعبير هذه الحركة في أساسها عملية قريبة من الحركات لإستعمارية التي إنتشرت في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين والواقع أن الصهيونيين إستطاعوا

الإستفادة من المعتقدات الدينية وتسخيرها لخدمة التوجهات السياسية التي نادت بها الحركة الصهيونية".

نشأة مصطلح الصهيونية:

في بداية القرن التاسع عشر تصوبت الأنظار نحو فلسطين ثم إزداد نشاط اليهودي في أواسط القرن التاسع عشر، وقد ظهرت حركة في روسيا إستعانت باليهود الولايات المتحدة على شراء الأراضي في فلسطين لترحيل اليهود الروس إليه، وفي أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشريين دخلت الصهيونية طورا جديدا خطيرا حينما وضعت (هرتزل) أساس الحقيقي للصهيونية والتي تهدف إلى جمع يهود العالم في دولة يهودية خالصة.

تمخضت عن حركة هرتزل المؤتمرات الصهيونية السنوية التي صاغت بروتوكولات صهيون، ولقد كانت الأرض المقدسة وهيكل هدف تلك الحركة منذ البداية وكانت فلسطين هي الإختيار الأول لمكان دولة وتحفزت الصهيونية في تنفيذ مخططها وهو إقامة دولة يهودية دينية فوق الأرض المقدسة، وتزعمت بريطانيا والولايات المتحدة تحقيق هذا الهدف على مراحل، ففي مؤتمر الصلح عام 1919م رسمت حدود ما عرف بإسم فلسطين وكانت معاهدة (سايس بيكو) بين فرنسا وبريطانيا وقد تضمنت تقسيم مناطق النفوذ بينهما وكانت فلسطين من نصيب بريطانيا حامية لليهود وكانت قواتها تحتلها حين ذلك.

ويحدد أحد الصهاينة من اليهود المعاصرين بتاريخ الصهيونة في مراحل محددة فيقول: "إذا أمعنا النظر نرى أن التاريخ أربعة أزمن مختلفة **الأول:** زمن التوراة **وثانيا:** الزمن السابق لهرتزل **وثالثا:** ومن معاصر لهرتزل **رابعا:** زمن التالي لتصريح بلفور"، إن مجد الصهيون الذي تتبنى الحركة الصهيونية الدعوة إلى إعادة لا يقف عند على هذا الجبل (صهيون) والأرض المحيطة به إن ما يشمل عنده بقعة مترامية الأطراف في بلاد المسلمين.

(عبد العزيز بن مصطفى الكامل، 1421هـ، ص 164- 166)

وهكذا نلاحظ مدى تبسيط في هذا النموذج من كتابات المعاصرة عدا عن رؤية التآمرية والفكر التآمري المبنى على التصورات بروتوكولات حكماء الصهيون، وهنا يمكن دور المسيري في إزالة هذا اللبس وتصحيح حول مفهوم الصهيونية والفكر الصهيوني.

تعريف الصهيونية في كتابات المسيري:

يشكك المسيري في أساس المصطلح الصهيوني ويغزو ذلك لعدة أسباب أهمها: "أن الحركة الصهيونية أنشأت في غرب البلاد الإستعمارية ثم تبناها يهود العالم الغربي لأغراض مختلفة فالصهيونية ليست عالمية من ناحية النشأة لأن اليهود العالم كانوا متواجدين داخل التشكيل الحضاري الغربي في نهاية القرن التاسع عشر وهي مرحلة التي أنشأت فيها الصهيونية وطرحت الصهيونية نفسها منذ بداية على أنها رؤية كاملة وشاملة للحياة اليهودية والتاريخ اليهودي والإنسان اليهودي وعلاقته بالطبيعة، والأرض والهوية اليهودية... إلخ، أي أنها طرحت نفسها لرؤية الكون، وقد أدركت الصهيونية هويتها منذ البداية على أنها حركة علمانية شاملة ترفض العقيدة اليهودية وترفض الإيمان بأي منطلقات أخلاقية أو دينية متجاوزة لعالم المادة والقوى السياسية والطبيعية والصراعات الفكرية". (عبد الوهاب المسيري، 1999، ص 16)

ويشير المسيري إلى مصطلح الصهيونية يصعب تعريفه بشكل مباشر، إلا أنه أورد له عدة تعاريف بشكل غير مباشر مع تنبيهه إلى أن هذا المصطلح يثير إشكالية من حيث إختلاط التعاريف بالإعتذاريات والديباجات والمنظورات المختلفة بحث لا يمكن التفرقة بين الواحد والآخر كما يشير المصطلح إلى النزاعات والحركات والمنظمات السياسية غير متجانسة بل متناقضة أحيانا في أهدافها ومصالحها ورؤيتها للتاريخ أو في أصولها الإيثينية أو الدينية أو الطبقية. (عبد الوهاب المسيري، 1999، ص 13)

أهداف الحركة الصهيونية:

1. وحدة الشعب اليهودي سواء إستمر في الحياة في نيويورك أم حيفا ومركزية إسسرائيل في حياته والمركزية مسألة شديدة العمومية.

2. تجميع من يريد من الشعب اليهودي في وطنه التاريخي أرض إسرائيل التي قامت على أساس رؤية الأنبياء للعدل والسلام وهي رؤية يمكن تفسيرها بطريقة حلولية كمونية عضوية ترضي كلا من الدينين والعلمانيين.

3. الحفاظ على هوية الشعب اليهودي من خال تشجيع التربية اليهودية والعبرية وقيم الروح والثقافية اليهودية (سواء في إسرائيل أو في الولايات المتحدة الأمريكية) وحماية حقوق اليهودية أينما كانت. (عبد الوهاب المسيري، 2005، ص 85- 86)، ويصدع المسيري بأهم فكرة من أفكاره حول رؤيته للحركة الصهيونية فيقول: "إن معركتي مع الصهيونية ليست لها علاقة كبيرة

بالصراع العربي الإسرائيلي فعدائي للصهيونية ينبع من عدائي لكل الإيديولوجيات العنف والعنصرية مثل: النازية والإيديولوجية التفرقة اللونية في جنوب إفريقيا، وأنه لو إختفت إسرائيل من على وجه الأرض، أو تصالح معها كل العرب لظل عدائي للصهيونية كما هو وهذا بطبيعة الحال مرتبط برؤية معرفية التي تتركز على الكلي والنهائي".

علاقة المسيري بالحركة الصهيونية وأهم الأفكار التي نادى بها:

هناك تاريخ طويل بين المسيري والحركة الصهيونية تزامنت مع دراسة الأدب الإنجليزي، إلا أنه كان متابعا وبصورة رتيبة في كل ما يجرى على الساحة مع إطلاعها على جل ما يصدر باللغات الأوروبية عن اليهودية والصهيونية والحضارة الغربية.

قد أشار في ذلك في سيرته الذاتية: "وعدت إلى مصر أحمل في عقل هذا الإدراك لوثنية الصهيونية وبدائيتها وواحديتها الهستيرية والإنتماء إلى التقاليد الغربية والحضارة الغربية".

في أعقاب قيام لدولة إسرائيل إستمرت دون عائق عملية تجنيد اليهود العرب بالقيام بأعمال التجسس وورد في موسوعة اليهودية (جودايكا) بأنها كانت هناك (حركة صهيونية سرية على الدرجة العالية من التطور) في مصر وكانت تعمل في خدمة الصهيونية وهذه الأكذوبة الكبرى مثل الأكاذيب الصهيونية الأخرى التي تهدف إلى تضخيم القوة الصهيوني وكان من الشخصيات البارزة في هذه الحركة المواطن المصري اليهودي (موشي مرزوق) الذي ولد في القاهرة سنة 1926م.

وجاء في الموسوعة اليهوديةّ: "أنه بدلا من أن يرتبط الدكتور مرزوق ببلاده فإنه كان على إقتناع بأن مستقبل جميع يهود المصريين يكمن في الهجرة إلى أرض إسرائيل التاريخية"، ونتيجة لهذا فقد كرس حياته للدفاع عن البلاد الذي ولد وتربى فيه بل لتحقيق الأهداف الصهيونية فقام بتجنيد اليهود الشبان ليذهبوا إلى إسرائيل. (عبد الوهاب المسيري، 2005، ص 478- 485)

كتابات ومؤلفات المسيري في الصهيونية وأثرها على حركة الوعي العربي:

تنقسم كتابات المسيري بالعمق والتحليل، كما أنها تعتمد النموذج التحليلي الذي أهله بذلك النوع من الدراسات فتراه يوجه نقدا كبيرا للدراسات التي تعتمد على الكم وتهمل الكيفية والجوهر لذلك فموضوعية الفوتوغرافية هي نموذج تحليلي يذهب إلى المعرفة العلمية التراكمية تتكون من إلتقاط أكبر عدد ممكن من التفاصيل الواقع المادي كما هو تقريبا، بصورة فوتوغرافية أ شه

فوتوغرافية وإدراجها في البحث أو الدراسة دون الربط بين المعلومات ودون محالة تجريد أنماط منها.

وتذهب المعلوماتية إلى أن المعلومة مهمة في حد ذاتها لا بسبب علاقتها بالموضوع الكلي أو بالنمط المتكرر ولذا يصبح التأليف هو أن يشحد المؤلف أكبر قدرا من المعلومات بغض النظر عن عدم ترابطها وعدم وجود بؤرة مركزية لها والإفتراض الكامن أنه كلما زادت المعلومات زادت درجة الإقتراب من الواقع كما هو: إلى أن يحشد الباحث كل المعلومات أو المراجع ويعطينا صورة طبق الأصل من الواقع وهو تصور يتضمن صورة للعقل بحسبانه كيانا سلبيا.

إن هذا الموقف الموضوعي المتلقي المعلوماتي ليس موضوعيا وإنما موضوعاتي بمعنى أن الدارس يكتفي برصد التفاصيل والموضوعات لتسجيلها دون أن يربط بينهما ودون أن يبين ما هو مركزي منها وما هو الهامشي وما هو معبر عن النمط الكلي وما هو مجرد واقعة غير ممثلة، ومما يستحق الإبقاء منها ما يستحق الإستبعاد، ويمكن القول بأن الموضوعية الفوتوغرافية هي نتيجة الإنفصال الهيجلية والرغبة في الوصل إلى رؤية شاملة تنضوي تحتها كل التفاصيل عن النزعة المعلوماتية فتبقى المعلوماتية بمفردها ويصبح هم الباحث الذي يدور في إطار أدنى مستويات التخصص أن ينقل التفاصيل والمعلومات المتناثرة كما هي دون الربط أو تجريد. (عبد الوهاب المسيري، 2009، ص 316- 317)، لذلك كان من الحتمي أن يواكب رفض الموضوعي الفوتوغرلفية وفكرة العقل السلبي وهي تحولات في رؤية عقل الإنسان وعلاقته بالواقع المادي، ومن ثم في الفلسفة الكامنة وراء المنهج كان من الحتم أن يواكب كل هذه التحولات التحول في الأدوات المنهجية، ولذا إتجهت نحو البحث عن أداة تحليلية تسير عملية الرؤية الكلية للظواهر والأفكار وربط العديد من التفاصيل وموضوعات التي تبدو كأنها لا علاقة للواحد منها بالآخر، والربط بين المستويات الواقع المختلفة العام والخاص والمجرد والمتعين والموضوعي والذاتي، أداة تجعلني أتجاوز الرصد المباشر والموضوعية المادية المتلقية دون السقوط في الذاتية أداة يمكنها أن تحط بالتركيبة الواقع والظاهرة الإنسانية وقد وجدت بغيتي في نهاية الأمر في النماذج التحليلية. (عبد الوهاب المسيري، 2009، ص 363)

وقد كانت بداية وتجليات هذا المنهج في كتابه:

الفردوس الأراضي: دراسات وإنطباعات عن الحضارة الأمريكية (بيروت، 1979م) مؤسسة العربية للدراسات والنشر دراسة في الحضارة الأمريكية هي في واقع الأمر دراسة في الحداثة الغربية ومفهوم التقدم واليوتوبيا التكنولوجية وترى الدراسة أن الإنسان الأمريكي إنسان مادي بمعنى الفلسفي يحلم بأن يؤسس فردوس أرضيا بحيث يتحكم في كل جوانب حياته الأرضية أو الزمانية ولكن ينتهي به الأمر إلى أن يعيش في جحيم، لأن من يحاول التحكم في كل الجوانب الواقع هو إنسان إمبريالي يحاول أن يتأله ولأن هذا مستحيل فالواقع دائما أكثر ثراء من تصورنا له، فمثل هذا الإنسان يحكم على نفسه بالتعاسة والبؤس شديدي.

ويضم الكتاب دراسة في التشابه بين الوجدان الأمريكي والوجدان الصهيوني وأخرى في حياة الزعيم الأمريكي الإفريقي الحاج مالك الشباز (مالكوم)، كما يضم الكتاب الدراسات مطولة عن حركة تحرير المرأة التي تنبأ الكتاب أنذاك أنها ستكتسب مركزية متزايدة في حياة الإنسان الغربي، وقد كتب المؤلف دراسة أخرى في خمس حلقات في مجلة مصور بعنوان: (هكذا تموت الأحلام وهكذا تشتعل الحرائق) تدور حول الحضارة الأمريكية نشرت عام 1990م.

كما كتب المؤلف دراسة ثالثة في الحركة الأنثوية (Feminism) بعنوان: (ما بين حركة تحرير المرأة وحركة تمركز حول الأنثى: رؤية معرفية)، نشرت في مجلة القاهرة عام 1997م، ويرى الدكتور المسيري أن الفكر تمركز حول الأنثى فكر حلولي يسعى إلى إلغاء الثنائيات والإختلافات بين الجنسين وتهدف إلى تصعيد الصراع بينهما، وهو سيضم كل هذه الدراسات إلى جانب دراسته عن الأمركة وولت ويتمان ودراسات جديدة أخرى عن أدبيات الأزمة الأمريكية. (عبد الوهاب المسيري، 2009، ص 427)

الإيديولوجية الصهيونية: دراسة حالة في علم الإجتماع المعرفة بالكويت 1981م مجلدان الطبعة الثانية من المجلد الواحد 1988م المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب.

أول دراسة متكاملة باللغة العربية في الإيديولجية الصهيونية، وهي تضم خلاصة ما توصلّ إليه الكاتب في دراسته السابقة، وتذهب هذه الدراسة إلى أن إيديولجية الصهيونية إلى إيديولوجية عنصرية معادية للكل من العرب واليهود وأنها نمط من الإستعمار الإستيطاني الإحلالي، والكتاب يضم عدة فصول من أهمها فصول التي تناول خلفية فكرية للصهيونية وعلاقتها بالنازية، كما يضم الكتاب ملحقا مطولا عن علم الإجتماع المعرفة يبين أهمية الدراسة

الأفكار وعلاقة الأفكار بالواقع الإنساني ويذهب الكتاب إلى أن الإيديولوجية الصهيونية عنصرية معادية لكل من العرب واليهود وأنها إحدى تجليات التشكيل الإستعماري الإستيطاني العربي، يأخذ شكلا إجلاليا ويلاحظ أن البعد المعرفي قد أصبح أساسيا كما هو واضح في العنوان الفرعي للكتاب الذي كان يضم ملحقا مستقلا في علم الإجتماع المعرفة.

(عبد الوهاب المسيري 2009، ص 519)

نهاية التاريخ: مقدمة لدراسات بنية الفكر الصهيوني (القاهرة، 1972، بيروت، 1979م) مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية، الأهرام، القاهرة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، دراسة في فلسفة التاريخ الصهيوني، تذهب إلى أن الفلسفات الفاشية، تحاول دائما أن تضع نهاية للتاريخ (الزمان والمكان) وأن تبدأ من نقطة الصفر، وهذا ما يصنعه الصهاينة بالنسبة لكل من الفلسطينيين ويهود العالم فهم أشخاص مقتلعون لا وطن لهم فهم (شعب بلا أرض).

ويتوقف تاريخ فلسطين (التي تنتظر أصحابها الأصليين، أي اليهود) كما يتوقف تاريخ يهود العالم، فهم يعيشون في المنفى يتوقون للعودة لوطنهم القومي الأصلي، وحين يضع الصهاينة نهاية للتاريخ فهم لا يختلفون كثيرا في هذا عن النازيين الذين أوقفوا تاريخ كل العناصر الذي قرروا أنها تعيق تطور الشعب العضوي (الفولك)

ومن أهم فصول هذا الكتاب الفصل الأول الذي يتناول قضية حلول الإله في التاريخ ويظهر نموذج الحلولية باعتباره نموذج تحليلي أساسي في كتابات الدكتور المسيري (الرأسمالية وفكرة العودة للطبيعة كتبها عام 1956 وتداولها أصدقاؤه من أعضاء اليسار الجديد في الولايات المتحدة ثم ترجمتها إلى العربية ونشرت عام 1972م في مجلة الطبعة المصرية)

أسرار العقل الصهيوني: (دار الحسام، القاهرة، 1996م).

يدور هذا الكتاب حول قضية المنحنى الخاص للإدراك وعلاقته بالسلوك وأثر كل هذا على التحليل السياسي بشكل عام، ورغم أن كل الأمثلة التي تناولها الكتاب مستمدة من عالم الجماعات اليهودية والصهيونية مثل: الإدراك الإسرائيلي للعرب والدولة الفلسطينية للعرب والدولة الفلسطينية والإنتفاصة) الإدراك العربي لليهود حادثة دريغوس –تهمة الدم– حادثة دمشق إلا أن الكتاب يحاول أن يبين أن التعامل مع الحقائق الصلبة خارج السياق التاريخي، ودون دراسة البعد الإدراكي والمعنى الداخلي تجعل هذه الحقائق بلا معنى، أو يجعل من الممكن فرض أي معنى عليها، فأهمية الكتاب المنهجية تفوق بمراحل مضمونة المباشر وسائر

الأمثلة اليهودية والصهيونية التي وردت فيه ويتألف الكتاب من مقدمة وأربعة فصول ويدور في مجمله حول قضية الإدراك وعلاقته بالسلوك، وأثر كل هذا على التحليل السياسي مستمدا ذلك من عالم الجماعات اليهودية والصهيونية.

هجرة اليهود والسوفييت: منهج في الرصد وتحليل المعلومات: (دار الهلال، القاهرة، 1990)

ظهر هذا الكتاب أثناء الحديث عن جريمة العصر أي (هجرة اليهود والسوفييت) والهلع الذي صاحب ذلك الخوف في هذه الهجرة التي قبل لنا وقتها انها ستكون هجرة ببالملايين وأنها ستحول الدولة الصهيونية إلى قوة عظمى وقد تحدث في هذه الدراسة هذه الرؤية الإختزاية المتسرعة سطحية فقدمت بدلا من ذلك دراسة لهجرة اليهود السوفييت باعتبارها حركة لجذب إسرائيل وطرد الإتحاد السوفياتي وقد تعرضت الدراسة كذلك لعناصر جذب الإتحاد السزوفياتي وطرد إسرائيل كما تناولت دراسة تاريخ يهود روسيا وبولندا منذ القرن التاسع ميلادي حتى الوقت الحاضر، وأنواع الجماعات اليهودية في هذين البلدين وثقافاتهم وتواريخهم ومسائلهم اليهودية المختلفة.

وقد تنبأت الدراسة بأن معدل المهاجرين الصهاينة من الإتحاد السوفياتي لن يزيد عن نصف مليون وأنهم سيسببون مشاكل إجتماعية عديدة في إسرائيل، من بينها تزايد الصراع بين المتدينين والسفارد من جهة، والعلمانيين والإنشكناز من جهة أخرى، كما سيؤدي إلى تآكل النسيج الإجتماعي في إسرائيل، وتقدم الدراسة نفسها بباعتبارها منهجا للرصد وتحليل المعلومات، وليس مجرد دراسة في هجرة اليهود السوفييت ولذا يؤكد المؤلف أهمية التوصل إلى نماذج معرفية كاملة وراء المعلومة وضرورة رؤية المعلومة باعتبارها جزء من النمط الأكبر.

الصهيونية والنازية ونهاية التاريخ: رؤية حضارية جديدة (دار الشروق، القاهرة، 1997)

تناول الكاتب ظاهرة الناوية إنطلاقا من المستوى الحضاري المعرفي، يتجاوز سرد التاريخي والمستوى السياسي كما يتجاوز منطق مراكمة معلومات الحقائق ويستخذم منهج دراسة الظواهر التاريخية الحضارية من خلال نماذج تفسيرية. ويبدأ الكاتب ببتعريف الإبادة وبعض المصطلحات الأساسية المرتبطة بها ثم يتناول ظاهرة الإبادة في سياقها الحضاري والألماني، وبعض الإشكاليات السياسية والفلسفية التي تثيرها إبادة يهود أوروبا على يد النازي مثل إشكالية إنفصال العلم عن القيمة، وتوظيف الإبادة واحتكارها وإنكارها، وإشكالية الحل النهائي وقضية عدد الضحايا الجريمة النازية وملاحقة مجرمي الحرب النازية. ويثير الكتاب الواحد من أهم

القضايا الخلافية وهي قضية تعاون بين أعضاء الجماعات اليهودية خصوصا الصهاينة مع النازيين، ويتناول الكتاب كذلك مكانة التي تشغلها الإبادة النازية في الوجدان الفلسلفي والأدبي الغربيين.

خلاصة:

حاولنا في هذا الفصل عرض أهم العوامل التي تالف القومية العربية الحديثة على نحو ماصاغها قادة الفكر الذي تناولوا الموضوع وقد أظهر ذلك العرض الطبيعة الجدلية والتجريبية لتلك الصيغ شكوك الحركة لا تزال في طورها البدائي موضحا إرتكاباتها.

والخلافات القائمة بين أفراد النخبة من طليعة القومية العربية، تقوم بصورة أوضح وأشد بينهم وبين جماهير الشعب، وليس في ذلك ما يبعث على دهشة نظر للهوة الفكرية التي تفصل بين جانبين بيد أن أن الخلافات لم تكن من شدة بحيث تعطل العمل المشترك. وذلك بأن الجماهير العالم العربي المعاصر لاتتصف بالإشكالية الصوفية ولا بالخمول ولا بالخضوع الأعمى، وهي تقف اليوم في المقدمة من جبهة الصراع ضد السيطرة الأجنبية أولا ثم غلى جانب الحركات الإصلاحية ثانيا، ولا يمكن تفسير سياسات الشرق الأوسط، دون الإهتمام بالجماهير واعتبارهم ظاهرة جديدة في الحياة السياسية.

(حازم زكي نسيبة، 2013، ص ص 140-141)

وأيضا ذكرنا أهم العوامل التي مرت بها العلمانية والمراحل التي إجتازتها العلمانية التي تمثلت في 4 نقاط التي تم ذكرها في المبحث.

وكان للصهيونية دورا بارزا في تغيير ملامح المسيحية من ديانة تدعو إلى توحيد الله إلى تقول بالتثليث وكان ذلك سهلا بالقضاء على المسيحية وإبعادها عن شؤون الحياة وكذلك أشرنا إلى أهم المصادر العربية القومية العربية والدراسات الموسوعية للفكر الصهيوني والمصادر الغربية لهذه الدراسات وكان للمسيري دورا فعالا في الدفاع عن قضايا الدين الإسلامي من خلال مواقفه النقدية التي تمحورت ضد الحضارة الغربية وّأيضا تطرقنا إلى دراسة موضوع مفهوم الصهيونية عند عبد الوهاب المسيري، حيث أرسى من خلال موسوعته عن اليهود واليهودية والصهيونية منهجا جديدا في دراسته الجماعات اليهودية وتاريخ الحركة الصهيونية. كما بين الباحث كيف أن دراسة الحركة الصهيونية لا تتم بمعزل عن نشأة وتطور تاريخ أوروبا والحركات والمذاهب التي نشأة عنها.

الفصل الثالث:الصهيونية والصراع العربي اليهودي

المبحث الأول: الكتابات الفكرية والسياسيةحول القضية الفلسطينية

المبحث الثاني: مفهوم ما بعد الصهيونية عند عبد الوهاب المسيري

المبحث الثالث: الفكر السياسي ونقد العلمانية المعاصرة عند عبد الوهاب المسيري

المبحث الأول: الكتابات الفكرية الفلسفية حو القضية الفلسطينية:

لم تبدأ نكبة الشعب الفلسطيني في عام 1948م، وإنما بأ قبل ذلك بكثير ففي عام 1999 نشر نابليون بونابرت ببيان يدعوا إنشاء الوطن اليهود على أرض الفسلطين تحت حماية القوات الفرنسية وذلك بهدف تعزيز الوجود الفرنسيس في المنطقة، ولم تنجح خطة بونابرت لكنها لم تمت أيضا بحيث أعاد البريبطانيون إحياء تلك الفترة من أواخر القرن التاسع عشر وقد تجسد ذلك في بداية عام 1897 حيث دعا المؤتمر الصهيوني لإنشاء وطن لليهود على أرض فلسطين.

تعرضت فلسطين إلى عديد من حملات شرسة من قبل القوات الصهيونية إستهدفت ديموغرافية وسياسة وثقافة الفلسطينيون، لم توفر قوات الصهيونية أي خطة آمنة للتخلص من الفلسطينيين لتطهير أرض الفلسطينية من الفلسطينيين، وقد حققت الصهيونية نجاحا كبيرا في ذلك إلا أن رغبة الفلسطينيين في الصمود والتحدي فاقت التصورات قوات الصهيونية بالرغم من حملات الخوف والتهديد والتشريد التي أخذتها القوات الصهيونية سلاحا ممثلا بأعمال وحشية وإجرامية لتطهير الأرض من سكانها الأصليين وأطلق عليها الصهاينة عملية (جئولوتهكركع) أي تحرير الأرض من سكانها وهذا هو الشعار الذي أطلقته القوات الصهيونية (أن فلسطين أرض بلا شعب للشعب بلا أرض).

يعتبر الإستيطان الصهيوني من أخطر الممارسات التي قام به الكيان الإسرائيلي وبقي عليه ووسعه، وعمل الكيان الصهيوني أيضا على بقاء الطابع اليهودي للدولة العبرية وعدم السماح لوجود أي فرصة لتحويل الدولة الإسرائيلية إلى دولة ثنائية قومية بأنها في ذلك الوقت تضم أقلية كبيرة من سكان العرب

هنا كانت دور الحركات الفكرية والسياسية في نشر القضية السياسية ومناضلتها وكان دور مهم للفنون في القضية الفسلطينية نذكر منها ما يلي:

الفنون السمعية:

أ- الأغنية الفلسطينية:

أن ما يميز أجواء الموسيقى الغنائية في فلسطين جذورها السارية في عمق المكان وشهادتها على العلاقة الوطيدة بين الشعب الفسطيني والمكان، وخصوصياته التاريخية والديمغرافية والثقافية منذ أن إستوطنت فلسطين، فكثافة الغنائي والمصاحب بالرقص والموسيقى في كثير

من التفاصيل الحياة الإجتماعية، الإقتصادية والسياسية لدى الشعب الفلسطيني إحدى دلالات الدراسات الفلسفة (أنثروبولوجي) بالإضافة إلى رصدها مراحل النضال والأحداث التاريخية التي واجهت الشعب الفلسطيني داخل الأراضي فلسطينية وخارجها.

نجد الكثير من الأغنيات والمواويل والألحان التي لازمت المناسبات اليومية للإنسان الفلسطيني، حيث وقت فلسطين تحت الإحتلال البريطاني وقامت بإعطاء وعد بلفور 1917، بدأ حينها ظهور ملامح جديدة للأغنية الفلسطينية الجديدة عرفت بإسم الأغاني المقاومة والأغاني الوطنية، نجد أن الفنان الفلسطيني قد حافظ على نفس القوالب والألحان التراثية، وبرز العديد من الفنانين المقاومين الذين أخذوا على عاتقهم تحميل الأغنية الفلسطينية ما أمكن من العبارات من التحدي والنضال ضد المستعمر ومغتصبين الأرض الفلسطينية، واستخدموا جميع القوالب الغنائية التراثية الشعبية.

ومن أمثلة على ذلك:

وعد بلفور هالمشؤوم جائر.

على الإسلام والرهبان جائر.

تناسى العدل وأصحى الظلم جائر.

ملوك الغرب ما فيها رجا.

ومن هنا بدأت الأغنية والموسيقى الفلسطينية تأخذ منحنى جديد يواكب التطورات والظروف الحياتية لفلسطين وجسدت الأغنية الفلسطينية مختلف أنواع المعاناة والصراع مع المحتل وأصبحت من خلالها يعبر عن البطولات والنظام ومراحل الكفاح الفلسطيني بالرغم من بساطتها.

وإستمر دور الأغنية الفلسطينية بمشاركة في الخوض معركة فلسطين وإستمرت الأغنية في لعب دورها إلى جانب المقاومة المسلحة والشعبية، ففي ظل تلك الأحداث ظهرت الأغاني الوطنية التي تمركزت حول أهمية السلاح وعملت على تمجيد الأبطال والشهداء الثورة.

ومن أمثلة ذلك:

هز الرمح بعود الزين.....وأنتوا بالنشامي منيا

وإحنا شباب فلسطين.....والنعم والنعمتين

في بلعاو وادي التفاح.....صارت هجمة وضرب السلاح

يوم وقعت بيت إمرين....شمع شلع المراتين

وبهذا أصبحت الأغنية الفلسطينية هي الوسيلة التي يعبر بها الإنسان والمجتمع الفلسطيني كم يجول في وجدانه من هموم وأحزان وآمال في التحرير.

(حسان محمد حسن السالم، 2019، ص 55-56-58)

ب- الشعر الفلسطيني:

إن لخصوصية فلسطين التي وقعت تحت إحتلال لعدة قرون أكثر كبير أدى إلى تميز الشعب الفلسطيني بموضوعاته ومضامينه الوطنية العميقة. فكان للجهاد والكفاح حصة كبيرة وكان هناك مضامين إجتماعية التي تملأ بمعاني سامية تهدف للتمسك بالدين والوطن والعشيرة والأهل.

صور الشعر الفلسطيني قصصا كفاحية كثيرة التي إرتبطت بالنضال ضد الإحتلال منذ العصر العثماني وحتى الآن، وانتقلت تلك الأبيات والقصص من الآباء للأبناء ومن الأجداد للأحفاد وهي قصص وأبيات شعرية إرتبطت بإطار سياسي بمضمون وطني، فكان لأشعارهم أثر كبير على المجتمع الفلسطيني، فالمقاومة الفلسطينية للإستعمار البريطاني ومن ثم الصهيوني قد قدم عدد كبير من الرموز الشعر الفلسطيني وذلك لأن أساس الكفاح في فترة ما قبل النكبة كان عبارة عن مظاهرات التي يتصدرها المثقفون الذين كانوا في الغالب من الشعراء الذين يحملون على أكتاف في مقدمة التظاهرات ومن أمثلة الشعراء الشاعر: فرحان سلام، محمود زقوت، فريد عودة، الشاعر موسى محمد الرحال. ومن الشعراء الذين إرتبط إسمهم بالشهرة عام 1936 أبو سلمى والشاعر عبد الرحيم محمود وإبراهيم طوقان والمطلق عبد الخالق. (حسان محمد حسن السالم، 2019، ص 59)

تنوعت أنواع ومضامين الشعر الفلسطيني بيبن عدة موضوعات كالسياسة والمجتمع وغيرها وتميزت بمضامين خاص بالأعراس والمهن ومن أمثلة على تلك الأشعار نذكر منها:

على دلعونا على دلعونا نسم ياهوا بلاد الحنونا

هذه بلادي بلاد الأمنية الناصرة وطربيا وجبل زيتونا

وكان للحركة الشعرية على وجه الخصوص دور رائد في الحياة السياسية والإجتماعية والثقافية التي مر بها الشعب الفلسطيني، وكان لها دور فعال ومتواصل في رصد الأحداث وتفاعل معها وبالتالي كان لتلك الأحداث دور كبير في التأثير على مسار الحركة الشعبية

الفلسطينية وفي تطورها وتجديدها، بعد النكبة عام 1967م واصل الشعب الفلسطيني كفاحه سياسيا وفكريا ومشاركة الفعلية على كافة المستويات الوطنية والقومية وأهمية سواء كانت سياسيا أو نضاليا.

الفنون الأدبية:

- التعبيرية:

تعبر الفنون عن الإنسان وقضاياه منذ زمن سحيق، وما الواقع الذي يصدر عنها إلا نقطة بداية لتوضيح التناقضات الإجتماعية الاتي يأخذ منها عناصر إهتمام المجتمع وعناصر دعوة التغيير. (يوسف الطالبي، 2001، ص ص 18-19)

وعملت الفنون الآدائية الفلسطينية على مواكبة القضية المركزية للشعب الفلسطيني خلال ظروف تاريخية التي مر بها وقامت الفنون الآدائية بالتعبير عن تلك الأحداث في محاولة منها لتصوير وتجسيد الولاة التي لحقت بالشعب الفلسطيني وتعبر عن المحن والألم والجرائم التي ارتكبت بحقهم، فأصبحت تلك الفنون عنصرها هاما في الماضي ووجدان الإنسان الفلسطيني.

وكان العديد من الحركات السياسية والفكرية والثقافية لدعم القضية الفلسطينية ومنها: الدبكة الفلسطينية، السينما الفلسطينية والمسرح الفلسطيني ومن خلال كل هذه الحركات تحاول قضية الفلسطينية إستمرار والصمود في نضالها وتوصيل قضيتها إلى المحافل الدولية.

شخصيات جزائرية إشتهرت بالنضال الفلسطيني:

- عمر راسم:

من الأوائل الذين اهتموا بفضح أساليب اليهود من خلال كتاباته عبر صفحات الجرائد، كما رد على بعض آراء العرب من القضية الفلسطينية نافيا وجود حلول وسطى ترضي اليهود وتحفظ للفلسطينيين حقوقهم في فلسطين والقدس وذلك من خلال جريدة العقار التي نشرت فيها مقالة إن الإتفاق الزعماء العرب الفاتحين وأهل البلاد مع زعماء اليهود مستحيل لأنه إعتراض بزعامة اليهود، فلا يحق لغير العرب أن يملك تلك الأرض، ولا غير راية الإسلام أن تحقق عليها.

الشيخ سعيد الزاهري:

يعتبر الشيخ محمد الزاهري أحد علماء الإصلاح الكبار في الجزائر وقد إنتبه إلى الخطر الصهيوني في وقت مبكر حيثث حذر من مؤامرتها وخططها، فكتب مقالا في جريدة البرق جاء

فيه: نحن الجزائريون يسؤونا والله أن نرى أحوال بلادنا وخيراتنا ذاهبة إلى بلاد إغتصبها الصهاينة من بلاد إخواننا وعلى أثر الحوادث 1929 حول حائط البراق راح الزاهري يسيتنجد بالمسلمين الجزائريين بمساعدة إخوانهم في فلسطين، فكتب مقالا في جريدة الإصلاح تحت عنوان "فضائع الصهيونية في فلسطين" جاء فيه: "يا أيها المسلمون الجزائريون، هل سمعتم، هل سمعتم بأن الصهيونية وبلى شفة اليهود في فلسطين، قد إغتصبوا البراق الشريف وردوه كنيسة لهم؟ واعتدوا على المسجد الأقصى في القدس الشريف وهم يحاولون أن يتخذوا كنيسة لهم". (عبد الرزاق المقري، 2013، ص 30)

موقف رواد الحركة الوطنية الجزائرية للقضية الفلسطينية:

لقد كانت الحركة الوطنية الجزائرية من القضية الفلسطينية يختلف باختلاف إتجاهاتها ومنطلقاتها الفكرية ومرجعيتها الإيديولوجية إلا أن هذا الإختلاف لم يقف ضد رواد الحركة الوطنية في الدعم ونصر القضية الفلسطينية فقد إتفقت الهيئات ومؤسسات الحركة الوطنية على تأييد الشعبي الفلسطيني.

الإتجاه الإصلاحي:

عبد الحميد بن باديس:

نسبة إلى أهمية فلسطين في عقيدة المسلمين فقال "الرحاب القدس الشريف مثل رحاب مكة والمدينة وفي أوت 1938م كتب الشيخ عبد الحميد بن باديس في مجلة الشهاب" مقالا بعنوان فلسطين الشهيدة قائلا تزاوج الإستعمار بالصهيونية الشرهة فأنجبنا لقسم كبير من اليهود الطمع الأعمى وقد قابه على فلسطين الآمنة إلى الرحاب المقدسة فحولوها جحيما لا يطاق. (عبد الحميد بن باديس، 1938، ص 1)

ب- الإتجاه الإستقلالي:

مصالي الحاج:

إتصل بقيادة العمل الفلسطيني حلمي باشا رئيس الحكومة فلسطين في أوت 1931 وأكد له الدعم الجزائري لإخوانهم في النضال والبحث معهم في الطرق القضية الفلسطينية، وعلى أثر قرار التقسيم أرسل مصالي الحاج بمذكرة إلى هيئة الأمم المتحدة يحتج فيها على قيام الدولة اليهودية في فلسطين، ويعلن على تضامن الشعب الجزائري مع الشعب العربي الفلسطيني وبعث بنسخة منها إلى الأمين العام للجامعة العربية.(أبرير حمودي،1962، ص 79)

ج- الإتجاه الإدماجي:

فرحات عباس:

عرف فرحات عباس بارتباطه الوثيق برجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومشاركتهم بخصوص القضية الفلسطينية فقد كان الأمين العام للهيئة العليا لإعانة فلسطين وقد ظهرت تصوراته هذه بشكل كلي في قرارات مجلسه المركزي يوم 21 ديسمبر 1947 الذي جاء فيه:

- يقف ضد حل الأمم المتحدة القاضي بتقسيم فلسطين.
- يؤسف موافقة فرنسا على هذا التقسيم.
- يرى أن الحل الوحيد والممكن يمثل في جعل فلسطين دولة مستقلة يكون فيها العرب واليهود متساويين وأعداء الصهيونية.
- أفعال مواجهة لضد العرب فلسطين تمثل أفعال معادية لعرب الجزائر.
- رغم إختلاف منطلقات ورواد الحركة الوطنية في إتخاذ مواقفها من أجل عدالة الشعب الجزائري في أساليب وغايات نضالية إلا أنها كانت تؤيد حق فلسطين في بلادهم وإدانة ورفض ممارسات وسياسات إستعمارية أن تقتل المهام الوطنية ولم تثنى من إدارة الحركة الوطنية ولا من عزيمة الشعب الجزائري في دعم القضية الفلسطينية.
- وكان من أول النداءات المشتركة البلاغ الذي سموه وموقعه البشير الإبراهيمي رئيس جمعية علماء المسلمين وفرحات عباس حركة أحباب البيان فداء الشعب الجزائري المسلم العربي لمساندة فلسطين وأنشأ هؤلاء في أكتوبر 1948 الهيئة العليا لإعانة فلسطين التي يبدوا أن مصالي الحاج كان ينوي رئاساتها، لقد إستطاعت القضيضة الفلسطينية أن توحد بين رواد الحركة الوطنية الجزائرية.

المبحث الثاني: ما بعد الصهيونية:

ثمة عدة أطروحات من قبل أكاديميين ومؤرخيين إسرائيليين مفادها: أن الحركة الصهيونية قد أوشكت على نهايتها ولا مفر من تجاوزها إن لم يكن الإنقلاب عليها، وكان على رأس هؤلاء الأكاديون والباحثون الجدد هو البروفيسور أبراهام بورج حيث تم طرح المفكرون الإسرائيليون أكثر من حلقة دراسية سنة 2000 في محاولة الإستشراق الأقصى لما بعد الصهيونية باعتبار أن الصهيونية قد أوشكت على نهايتها ولا مفر من تجاوزها إن لم يكن الّإنقلاب عليها، ومن المفارقات العجيبة قد يعقد المؤتمر الصهيوني الأول في ذات المبنى (شتات كازينو) الذي عقد فيه المؤتمر الأول سنة 1897 بمشاركة 1700 من الشخصيات اليهودية العالمية، وقد لفت الأنظار المراقبين المشاهد التالية:

- الحراسة والإجراءات الأمنية والكثيفة التي فرضتها الحكومة السويسرية لحماية المؤتمرين، حيث شارك بضعة آلاف في حراسة مكان المؤتمر والطرق المؤدية إليه إضافة إلى طائرات هيليكوبتر.
- عدم مشاركة أي شخصية رسمية مثل رئيس الدولة السابق (عيزر وإيرزمان)) ورئيس الحكومة (بنيامين نشياو).
- عدم التغطية المؤتمر من قبل الصحافة وتعمد التعميم الإعلامي.
- عدم توجيه الدعوة إلى أي من أقارب (تيودور هرتزل) مؤسس الحركة الصهيونية بحضور المؤتمر الذي أسسه هو كما لاحظ ذلك المراسل صحيفة يديهوت أحرنوت.
- إن الخطاب الذي ألقاه أبراهام بورج (رئيس المنظمة) حظي بتصفيق وترحيب غالبية أعضاء المؤتمر واحتج أعضاء الوفد الإسرائيلي وخرجوا من القاعة وهم يقولون: أن بورج حظر إلى مدينة بال ليس ليثني على ميراث هرتزل بل ليواريه التراب.

(مصطفى محمد مقداد، 1999، ص 137-138)

إعترف بورج أن إسرائيل تواجه أزمة متفاقمة تتمثل في قنابل موقوتة الإجتماعية والقومية خلفها ورائهم آباء ومؤسسي الدولة، بما فيها العلاقة بين المؤسسة الدينية والدولة والعلاقة بين الإسرائيل واليهود والذين يسكنون في الخارج والعلاقات بين إسرائيل والدولة العربية.

(مصطفى محمد مقداد، 1999، ص 139)

تم الدعوة إلى ما بعد الصهيونية ونشرت الأبحاث وعقدت بشأنها منذ سنوات عديدة ويلاحظ أن مثقفي ما بعد الصهيونية أو المؤرخين الجدد أو علماء الإجتماع الجدد ليسوا أو من تحدى الرواية الصهيونية لماضي إسرائيل وحاضرها وأن بعضهم يكتسب الثقة الأكبر بالنسبة إلى المستقبل عندما يتصور إقامة الدولة الإسرائيلية بدلا من الدولة اليهودية دولة لجميع مواطنيها. (مصطفى محمد مقداد، 1999، ص 140)

وعقدت في تل أبيب في أكتوبر سنة 1990 ندوة شارك فيها العدد من كبار الكتابب والمثقفين الإسرائيليين وخصصت للبحث في الصهيونية وما بعد الصهيونية وعكست الحوارات التي دارت فيها شكوكا وإدانات كبيرة للصهيونية وهي فشل الصهيونية في إيجاد مكان آمن لليهود فإسرائيل هي المكان الأقل أمان وقد أكدت نتائج تلك الندوة بأن الصهيونية اليوم تمر بأكثر فترة مكثفة بأزماتها فالصهيونية فشلت في تطبيق أهداف التي وضعتها نصب أعينها.
(مصطفى محمد مقداد، 1999، ص 143)

التيارات الصهيونية الأساسية:

أشرنا مقبل إلى تنوع الدباجات والإعتذاريات والتبريرات المختلفة المتناقضة المتضاربة ولكنها تجمعها صيغة صهيونية أسياسية شاملة وهي تصلح أساسا للتيارات الصهيونية الأساسية بين اليهود:

1. الصهيونية السياسية (الذي يقال لها الديبلوماسية)

كان دعاة هذه المدرسة من اليهود المندمجين في الحضارة الغربية الذين فقدوا علاقتهم بموروثهم الثقافي والديني، وال يكنون أي احترام للموروث الديني الثقافي للجماعات اليهودية في شرق أوروبا، ويؤمن دعاة هذا الإتجاه بأزلية العداء لليهود، وأنه لا حل للمسألة اليهودية إلا بخروج اليهود من أوطانهم يؤسسوا دولة مقصورة عليهم.

ولم يهتم دعاة هذا التيار بالتوجه الديني أو الثقافي بهذه الدولة أو شكلها الإيديولوجي، الإشتراكية كانت أم الرأس الفاشية أم لليبيرالية وقد كان همهم الأكبر هو تخليص أوروبا من يهودها، ومع هذا يمكن القول بان معظم المنتميين بهذا الإتجاه يظهرون تعاطفا نحو الإقتصاد الحر الذي إكتشف أن رؤية الصهيونية لا يمكن وضعها موضع تنفيذ من خلال قوة اليهود الذاتية وأنه لا مناص من الإعتماد على الدعم الإمبريالي الغربي وهذا هو الذي كان يعنيه بقوله: "بمساعدة القانون الدولي العام" فالقانون الدولي في الخطاب الغربي كان يعني "القانون

الغربي" وكلمة الدبلوماسية التي توصف بها الصهيونية السياسية تعني في واقع الأمر (الإستعمارية) ويمكن القول بأن الصهيونية السياسية هي صهيونية ذات إتجاه توطيني على الرغم من وجود أحزاب تمثلها داخل المستوطن الصهيوني.

2. الصهيونية الإشتراكية أو العمالية (أو ذات الديباجات الإشتراكية أو العمالية):

الصهاينة الإستيطانيونهم هؤلاء اليهود الذين يذهبون إلى فلسطين فيغتصبون الأرض من أهلها فيطردونهم منها ويمنعونهم من العمل فيها لذا فالواقع وجودهم الذي يستند إلى إختصار وإرهاب وعنف يملي عليه تبني أشكال من تنظيم العسكري والإجتماعي والإقتصادييستحيل البقاء دونها والصهيونية الذي يقال لهها (الإشتراكية) هي تعبير عن الوضع الذي تذهب إلى أن المستوطنين عليهم أن ينظموا أنفسهم داخل مؤسسة مقصورة عليهم ويقال لها الإشتراكية تأخذ شكل مزارع جماعية لا تعرف الملكية الخاصة أو تقلص نطاقها وتشكل إتحادات العمالية تستبعد العمال من السكان الأصليين.

وما لا تذكره الأدبيات الصهيونية الإشتراكية إلماما وأن جماعية التنظيم مسألة لا علاقة لها بفكرة العدالة الإجتماعية، وإنما هي مسألة تنظيمية حتمية تطالبها مواجهة مستمرة م السكان الأصليين ومن المعروف أن معظم التجارب الإستيطانية الأخرى التي لا علاقة بأي فكر إشتراكي لجأ إلى تنظيم على أسس جماعية فالجماعية هنا تعبير عن عسكرة مجتمع المستوطنيين لابد أن يدافع على نفسه ضد المسحوفين والمطرودين وقد طرح الصهاينة الإشتراكيون مفاهيم أخرى مثل مفهوم (غزو الأرض) و(العمل والحراسة) و(إنتاج) والذي يعني ببساطة أن اليهودي طالما كان لا يزرع الأرضالتي إستولى عليها ولا يحرصها بنفسه فإنما ستؤول إلى العرب مرة أخرى، ولذا فلابد من إقتحام الأرض عنوة وإستبعاد العرب من العمل عليه وتأسيس بنى إقتصادية مستقلة في عمليات الإنتاج والإستهلاك لا يوجد داخلها سوى المستوطنين الصهاينة والصهيونية ذات ديباجة.(عبد الوهاب المسيري، 2010، ص 103)

الإشتراكية التي قامت بوضع الأسس الجيب الإستيطاني فهم الذين قاموا بتأسيس المنظمات العسكرية الصهيونية اللمختلفة والمؤسسات الإقتصادية الإنعزالية التي قامت بإقتلاع العرب وإستبعادم من العملية الإنتاجية (الكيوتس، الموشاف، الهتسدروت) وهي التي أعلنت إستقلال الدولة وظلمت التحكم الدولة الصهيونية عام 1977م حين ما نجح "بيجين" في الإنتخابات.

3. الصهيونية الثقافية والدينية:

يذهب كل من الصهاينة الثقافيين والدينيين إلا أن اليهود شعب ممتماسك مرتبط إرتباطا عضوي بفلسطين وله حقوق مطلقة فيها وبينهما يرى الدينيون أن وحدة هذا الشعب اليهودي وحقوقه المطلقة نابعة من الوعد الإلهي وإختيار الإله له يرى الثقافيون أنها تتبع ن ذاته هو ولذا فالتراث الديني بالنسبة للصهاينة الثقافيين هو تعبير عن الوعي االيهودي، وشيء من قبيل الفلكلور ورغم الإختلاف في تحديد مصدر الإختيار فإن الإتجاهين يتفقان في الاساسيات.

ويلاحظ أن الصهيونية الثقافية والدينية تعطي ما يسمى "منطقة الوعي والهوية" ولا علاقة كبيرة لهما بعالم السياسة والإستطان ولذا يمكن أن يكون الصهيوني الإستطاني أو التوطيني صهيونيا ثقافيا أودينيا وإنقسام المستوطن الصهيونيي لعلمانيين متدينين تعبير عن الإنقسام بين دعاة الصهيونية الثقافية وداة الصهيونية الدينية (عبد الوهاب المسيري، 2010، ص 104)

العلامات العشر لسقوط المشروع الصهيوني:

حدد المسيري عشر علامات تؤشر عن أن زوال إسرائيل بات وشيكا ونفى المسيري أن يكون لهذا التوقع علاقة بالتشاؤم أو التفاؤل مشددا على أنه يقرأ معطيات وحقائق يستقيها م الكتب والصحف الإسرائيلية.

العلامات العشر التي حددها المسيري:

تأكل المنظومة المجتمعية للدولة العبرية، والفشل في تغيير السياسيات الحاكمة، وزيادة عدد النازحين لخارج إسرائيل، وإنهيار نظرية الإجماع الوطني، وفشل تحديد ماهية الدولة اليهودية بالإضافة إلى عدم اليقين في المستقبل والعزوف في الحياة العسكرية وعدم القضاء على السكان الأصليين، وتحول إسرائيل إلى عبء على الإستراتيجية الأمريكية،نهاية بالإستمرار المقاومة الفلسطينية.

ويرى المسيري أن تآكل المنظومة المجتمعية لإسرائيل هو أحد أهم أوجه إنهيار إسرائيل وذلك بعدما فشل مصطلح (الصهر) الذي حده ديفيد بن غوريون مؤسس الدولة العبرية لصهر المجتمع الإسرائيلي بأكمله في منظومة واحدة موحدة القومية بعيدا عن الهوايات المتعددة التي جاء بها اليهود من مختلف بدان العالم.

وأضاف: هذا المفهوم فشل في إيجاد هوية قوية موحدة لليهود القائمين إلى إسرائيل، وهناك مشكلة دمج العرب والأقليات داخل المجتمع الإسرائيلي والتي مازالت تمثل عائقا كما وقع المجتمع الإسرائيلي في مجموعة من الإستقطابات والصراعات الفكرية والعرقية.

وفيما يتعلق يتغيير السياسات الحاكمة، قال المسيري إن هذا الفشل أدى إلى تزايد حالة القلق داخل إسرائيل من قبل المفكرين والمثقفين والذي وصل إلى درجة الهاجس من حدوث إنهيار الداخل الحزبي (عبد اللطيف زكي ابو هاشم، 2013، ص 156) وظهور تمرد عام في إسرائيل أو حتى شيوع حاله من التذمر في مؤسسات الجيش والإستخبارات على غرار ما جرى في الستينيات بين الصفوف الموساد، في ضل تعثر خطوات تطوير النظام السياسي القائم.

أما العلامة الثالثة التي حددها المسيري فهي (النزوح من إسرائيل) مشيرا إلى السجلات الإسرائيلية تؤكد نزوح مليون إسرائيلي لخارج إسرائيلي من إجمالي 6 ملايين قدموا إليها وأضاف: شهد العالم وحدة خروج أكثر من 18 ألف إسرائيلي في حيث تدنت مستويات الهجرة لإسرائيل إلى أقل معدلاتها منذ 20 عام.

وأرجع المسيري السبب النزوح إلى حالة عدم اليقين من مستقبل إسرائيل مشيرا إلا أن المجتمع الإسرائيلي مصطلح وبالتالي سيظل شعوره بعد الإنتماء إلى المنطقة قائم ولفت إلى أن ما يؤكد ذلك قول الرئيس الإسرائيلي شيمون بريز عندما سأله أحد الحفيين قبل أيام هل ستبقى إسرائيل (60) عام أخرى؟ فرد عليه: إسألني هل ستبقى 10 سنوات القادمة؟

ومن بين العلامات أيضا: إنهيار نظرية الإجماع الوطني، نظرا لإتساع الهوة القئمة بين العلمانيين والمتدينين والتي أدت إلى حالة من العداء المستمر بين الأحزاب الدينية الشرقية والغربية والوسيطية ولفت المسيري إلى أن إسرائيل فشلت حتى الآن في تحديد ماهية الدولة اليهودية مشيرا إلى أن الحاخاماتاليهود يؤكدون أن الإعلان عن الدولة اليهودية هو علامة إنهيارها وفقا للمعتقدات الدينية اليهودية.

وأضاف المسيري أن علامات إنهيار الدولة العبرية تتعاظم خلال سنوات الماضية وم بينها ما تؤكده وسائل الإعلام والكتابات الإسرائيلية عن العزوف الشباب عن مشاركة في الحياة العسكرية، ورؤية الشباب الدولة ورجالتها عدم وجود مبرر لإستمرار الإحتلال لأراضي الغير ولفت إلى أن الشباب الإسرائيلي بت يتساءل هل هذه الحروب التي تخوضها الدولة خيار أم إحتلال؟

ومن بين العلامات التي شدد عليها المسيري: فشل الإسرائليين في القضاء على سكان الفلسطنيين الأصليين، مشيرا إلى أن الوضع الديمغرافي في صالح الفلسطنيين وليس الإسرائليين وأضاف أن الجيوب الإستطانية في العالم تنقسم إلى قسمين الأول من مجح منها في القضاء على السكان الأصليين مثل الولايات المتحدة وأستراليا فيما لم ينتج القسم الثاني الذي تنتمي له إسرائيل في ذلك وأردف: هذا ما إكتشفه بن غوريون مبكر عندما قال: نحن الآن نجابة مجموعة من الإرهابيين، وإنما تجابه ثورة القومية، لقد صهرنا أرضهم ولن يسكتوا على ذلك وإذا قضينا على جيل فيسظهر آخر.

أما العلامة العاشرة والأخيرة التي لفت إليها المسيري فهي أن: إسرائيل قائمة على الدعم الخارجي، وخاصة الدعم الأمريكي، والبعض يتحدث عن أن إسرائيل بدأت تمثل عبئا على الإستراتيجية الأمريكية في المنطقة.

وأوضح أن الطبيعة الوظيفية إسرائيل تعني أن القوى الإستعمارية إصطنعتها وأنشأتها للقيام بوظائف ومهام تترفع عن القيام بها لمباشرة، فهي مشروع إستعماري لا علاقة له باليهودية وإذا إنتهى هذا الهدف إنتهت إسرائيل.

وأعرب المسيرري عن أن الإستمرار المقاومة الفلسطينية ستؤدي لنهاية الدولة الإسرائيلية مضيفا أن: هذا ما يؤكده قول أحد قادة إسرائيل: نحن غير قادرين على رصد صواريخ القسام بسبب صناعتها البدائية، ونحن على إستعداد لأن نعطيهم صواريخ (أسكت) التطورة ونأخذ صواريخ القسام، وأشار إلى أن إسرائيل تعاني من غياب عم الإنتصارات ، قائلا: "إنه على الرغم من إمتلاك إسرائيل لآلة عسكرية ضخمة حققت من خلالها العديد من الإنتصارات العسكرية التي لا تترجم إلى إنتصارات تصبح عميقة. (عبد الوهاب المسيرري، 2010، ص 157)"

المبحث الثالث: الفكر السياسي ونقد العلمانية المعاصرة عند عبد الوهاب المسيري

يعد مفهوم العلمانية من المفاهيم المعقدة، التي كانت محل خلاف الباحثين والفلاسفة للإدلاء بدلوهم لتعريفها سواء من الناحية اللغوية أو الاصطلاحية، ولحداثة هذا المصطلح فقد تناولت المعاجم اللغوية عند العرب وغيرهم هذا المفهوم بالنقد والتحليل، مما جعلها تتخذ عدة مفاهيم وأهم ما سوف نلاحظه من خلال تلك التعريفات هو اختلافها وتباينها من فيلسوف الآخر من فترة نشوئها في الغرب إبان عصر التنوير في أوروبا ردا على الأوضاع التي كانت سائدة آن ذاك المتمثلة في سيطرة الكنيسة على كل جوانب الحياة السياسية الاجتماعية والاقتصادية، فسرعان ما تفاقم الأمر، بات ضروريا إيجاد حل مستعجل لإيقاف الهيمنة والسيطرة الكنسية باسم الدين والصفة القدسية .

أولا: لغة:

العلمانية بفتح العين مشتقة من كلمة علم (بفتح العين)، وهي مرادفة لكلمة عالم، في الانجليزية LAICISME والفرنسية LAISISME وهما مشتقان من الكلمة اليونانية لاووس (شعب)، (رعاع) أي عكس الكهنة، وهم النخبة في الماضي، من ثم صارت الكلمة تدل على القضايا الشعبية الدنيوية، بعكس الكهنوتية الدينية، الاشتقاق اللغوي للعلمانية هو العلم الذي يرادفه عالم في اللغات الاجنبية، وتعني في مجملها السلطة الدينية مقابل السلطة السياسية أي فصل الحياة الدينية عن الحياة السياسية أي عزل الدين عن الدولة.

(مصطفى حسيبة، 2009، ص 345)

والعلمانية بالإنجليزية sécularisme وترجمتها الصحيحة اللادينية أو الدنيوية وهي دعوة إلى إقامة الحياة على غير دين، وتعني في جانبها السياسي بالذات اللادينية في الحكم، وكلمة العلمانية هي ترجمة لكلمة سيكولاريزم الانجليزية، وهي مشتقة من كلمة لاتينية سيكولوم saeculum وتعني العالم أو الدنيا وتوضع في مقابل الكنيسة.

(مصطفى حسيبة، 2009، ص 346)

العلمانية في كل أشكالها تعني اللادينية بمعنى الحياة بعيدة عن الدين، أي الدين ليس له مكانة في حياة الإنسانية، وتعني في السياسة انفصال السلطة الدينية عن الأنظمة الحكومية بمعنى الديني مقابل الكهنوتي، هذا ما جاء في معجم الطلاب الوسيط:" العلماني نسبة إلى العلم وهو خلاف الديني والكهنوتي" **(كريم سيد محمد محمود، 2006، ص 547)**، هذا ما

جاء في معجم الطلاب الوسيط أن العلمانية في كل نواحيها تعني فصل الدين عن كل ماله لهذا يعني باللاتينية أيضا لفظ cosmos أي الكون أو النظام **(مراد وهبة، 2007، ص 432)**، في العصر الوسيط أصبح لفظ علماني محصورا في معنى ضيق، إذ أطلق على الكاهن الديني الذي يتحمل مسئولية إدارة ايبارشية فيقال في هذه الحالة إن الكاهن قد تعلمن secularized، ثم اتسع استخدام اللفظ عنما استقل الامبراطور عن بابا روما، وتجسد الإنفصال بين ما هو روحاني وما هو علماني في المؤسسات فانتقلت بعض المسئوليات من السلطة والكنيسة إلى السلطة السياسية وسمي هذا الإنتقال بالعلمانة **(مراد وهبة، 2007، ص 433)**، كما يعرفها أيضا بأنها فصل الدين عن الدولة لأن هذا الفصل معلول للعلمانية، أما علة الفصل فهو التفكير في النسبي بما هو نسبي وليس بما هو مطلق.

أما المذهب الدنيوي secularism استبدال السحر والدين بأشكال من الرقابة المعقولة في المجتمعات المسماة بالمجتمعات المقدسة **(أحمد زكي بدوي، 1982، ص 370)**، تتميز جميع نواحي النشاط التي تعتبر ذات طابع اجتماعي بمظاهر سحرية ودينية، تهدف إلى السيطرة على البيئة الطبيعية أو الاجتماعية أو العالم فوق الطبيعي، ثم تحل بصفة تدريجية محل هذه الأساليب السحرية والدينية أساليب ذات صفة عقلية وأساس علمي، والمجتمع الدنيوي secular society الذي يتمسك بقيم أساسية نفعية وعقلانية، والذي يقبل التغيير والتجديد ويشجعهما ويقابل المجتمع الدنيوي المجتمع التقليدي، كما لايهتم المجتمع الدنيوي بالمقدسات والقوى الخارقة للطبيعة أو بالقيم المتصلة بالتقاليد والنزعة المحافظة، والدولة العلمانية secular states هي التي لا ينص دستورها على دين أو مذهب معين تتبعه حكومتها، ويتساوى مواطنوها على اختلاف عقائدهم الدينية في جميع الحقوق.

(أحمد زكي بدوي، 1982، ص 371)

ثانيا: إصطلاحا

إن مفهوم العلمانية في الإصطلاح محل اختلاف الفلاسفة والعلماء، ومن الصعب العثور على تعريف دقيق، متفق بشأنه حول العلمانية، هذا راجع لحداثة المصطلح من حيث الممارسة والإستعمال.

ففي الفكر العربي هناك تيارات مختلفة مواقفها متباينة من مفهوم العلمانية فنجد مثلا التيار الحداثي التنويري أخذت فيه العلمانية عدة أشكال أهمها رفض أية مرجعية دينية في أي مجال من مجالات الحياة، ورد كل شيء إلى العقل والتجربة حيث أنهما سبيلا للمعرفة.

العلمانية في أغلب حالتها تسعى إلى الحقيقة أو الاقتراب منها فيعرف محمد أركون العلمانية قائلا: "**إن العلمنة بالنسبة لي، هي موقف للروح وهي تناضل من أجل امتلاك الحقيقة أو التوصل إلى الحقيقة**" **(محمد آركون، 1996، ص 10)**، هذا يعني أن تعريف أركون للعلمانية قائم على وصفها بأنها موقف للروح التي تبحث عن الحقيقة، حيث أنه من مؤيدي الاتجاه العلماني، بوصف العلمانية نور للعقل حيث لا نجد ابتعاد عن العقل أو المعقول عند فلاسفة التنوير، فالعلمانية تواجه أمرين اثنين سيادة العقل في بلوغه المعرفة الحقة بما يوافقه متجاوزا كل المعالم الدينية مبتعدا كل الابتعاد عن الحركات القانونية داخل المجتمع، فالعلمنة ظاهرة اجتماعية تخص المجتمع وما حوله من معارف ومسؤوليات، من هنا تفرض العلمنة نفسها عن جميع شرائح المجتمع.

بعد أن تتوصل العلمانية لشتى الحقائق التي تخص المجتمع عن طريق العقل والواقع، بمعنى عندما نتوصل إلى معرفة ما بالواقع، فإنه ينبغي أن نجد صيغة أو وسيلة ملائمة لتوصيلها دون أن نشرط حريته أو نقيدها ، وهذا دور العلمانية في المجتمع تساعد على توسيع نطاق الحقيقة في العالم المعاش. **(محمد آركون، 1996، ص 11)**

عبد الوهاب المسيري هو الآخر من التيار التنويري الحداثي من بين المفكرين الذين نادوا بالعلمانية، ففي أحد تعريفاته لها يقول: "**العلمانية تعني ثمة انتقالا من الإنساني إلى الطبيعي المادي، أي من التمركز حول الإنسان إلى التمركز حول الطبيعة، أي الانتقال من تالية الإنسان وخضوع الطبيعة إلى تألية الطبيعة وإذعان الإنسان لها ولقوانينها ولحتمياتها**" **(عبد الوهاب المسيري، 2009، ص 108)**، وقد ربط المسيري تعريفه للعلمانية بفكرة انتقال الإنسان من فكرة الطبيعي المادي، أي أن يتجرد الإنسان بكل ما هو جامد من كل ما هو مرتبط بالظواهر والتحرر من الهيمنة المادية ،وتفكيكها للوصول إلى حياة مثالية يكمن فيها التكامل والتركيب والكلية وتسودها الحرية والقدرة على تجاوز الطبيعة والمادة.

من جهة ثانية ميز عبد الوهاب المسيري بين ما أسماه العلمانية الجزئية "، التي تعني فصل الدين عن الدولة من جهة، ومن جهة أخرى ما أسماه " العلمانية الشاملة "، أي رؤية

شاملة للكون بكل جوانبه، فهي لا تفصل الدين عن الدولة وعن جوانب الحياة فقط، إنما تفصل كل القيم الإنسانية والأخلاقية والدينية عن كل اتجاهات الحياة الإنسانية أولا، ثم اتجاهات الحياة الخاصة في نهايته، إلا أن يتم التخلص من المادي ونزع القداسة عن العالم بحيث يتحول العالم الإنسان والطبيعة)، إلى مادة استعمالية وهي رؤية شاملة **(عبد الوهاب المسيري، 2009، ص 109)**، لأنها تشمل كلا من الحياة العامة والخاصة، هكذا تبين مصطلح العلمانية، كما تحدد حسب المسيري الذي اختلط المفهوم الدلالي لها بين العلمانيتين الشاملة والجزئية، وهو مصطلح تم تحديده من المعاجم الأجنبية.

وفي نفس الاتجاه يرى مراد وهبة أن "**العلمانية هي المسار الإنساني في حضارتنا**" **(عبد الوهاب المسيري، 2009، ص 91)**، ربط وهبة مفهوم العلمانية بالحضارة الإنسانية التي تطورت عبر الزمان والمكان، هذا ما دفعه إلى الإيمان بالتنوير والنهضة، والإيمان بالعقل وحده.

في نفس السياق لتعريف العلمانية في عالم التعريفات الجزئية يقول عزيز العظمة: "**فالعلماية ليست شعار بل اتجاه تاريخي وجملة مواقف وقوى اجتماعية اديويولوجلية ونظرية تلم بالتاريخ وتتوافق الترقي، مع التحولات الاجتماعية على السعيد العالمي**" **(عزيز العظمة، 2008، ص 27)**، علمانية عزيز العظمة مربوطة بالإستقلال الجزئي للمجتمع، والتخلص القطعي من الإستبداد والهيمنة عليه وعلى حياته العامة والخاصة فالعلمانية لاتعني فقط فصل السلطة السياسية عن السلطة الدينية وفقط، بل الفصل والانقطاع عن كل ما يعرقل حياة الفرد ومبادئه ومرجعتيه الدينية والفكرية.

الشيخ محمد شمس الدين، هو الآخر أعطى تعريفه الخاص للعلمانية فيرى أنه المقصود منها أن يتولى قيادة الدولة الحكم وأجهزته ومؤسساته وخدماته رجال زمنيون لا يستمدون ذلك من خبرتهم البشرية في الإدارة والقانون وأساليب العيش **(الشيخ محمد مهدي شمس الدين، 1983، ص 125)**، وتكون الروح العامة التي توجه الدولة والمجتمع في جميع مؤسساته الثقافية والسياسية والتشريعية وغيرها روحا غير دينية.

لم يضف الشيخ محمد شمس الدين الشيء الجديد عن التعريفات الأخرى التي رأيناها في نفس الاتجاه، كلها كانت تصب في حقل واحد فصل كل أجهزة الدولة ومؤسساتها وخدماتها

الإدارية والقانونية، حيث تكون الحياة في كل جوانبها الثقافية السياسية التشريعية بمنعزل عن كل ماله علاقة بالدين.

إن الاتجاه التنويري اتجاه عقلاني بكل درجاته واقعي في كل جوانبه، فالنزعة الإنسانية لا تبتعد عن العقل والمعقول فالعقل من بين التحديات التي تواجهها العلمانية.

بينما في المقابل يوجد التيار الأصولي، الذي شاع عنه أنه تيار معادي للعلمانية ينفي العلمانية باعتبارها نفي للسلطة الإلهية، حيث قال مراد وهبة: "**وهكذا يكون المطلق الأصولي مطلقا معاديا للعلمانية معاداة دموية، بدعوى أن العلمانية هي نفي لسلطان الله في مجالات الحياة برمتها**" **(مراد وهبة، 1998، ص 36)**، الإسلام جاء رسالة لتحرير الإنسانية جمعاء من العبودية فرسالة الله عز وجل التي نقلت لنا عن طريق الأنبياء والرسل، ليبن الله فيها ألوهيتهم ووحدانيته للناس جمعاء، لذلك كان منطلق الأصوليين منافي للتيار العلماني، داعيين أن العلمانية خروج عن الدين ونفي السلطة الدينية في كل اتجاهات الحياة.

فمشكلة الأصوليين تدور حول أنهم يريدون تحويل ما هو تاريخي إلى ما هو منطقي **(مراد وهبة، 1998، ص 73)**، بمعنى أن لديهم اعتقادا راسخا هو أن الإسلام يقدم لنا أجوبة عن جميع الأسئلة الهامة الخاصة بالشئون الدنيوية بغض النظر عن الظروف التاريخية، ولهذا فإن موقف الأصوليين من العلمانية أنها مرفوضة ليس فقط من الزاوية الدينية بل أيضا من الزاوية المعرفية.

حيث أن نظرة الأصولية للإسلام على خلاف العقائد الأخرى، يشتغل بتحرير الإنسان من العبودية وتنظيم الحياة الدينية في كل الجوانب السياسية الاقتصادية والثقافية، على خلاف العلمانية التي تسعى إلى فصل الدين عن الدولة، ولذلك كانت مرفوضة من كل الزواية لأنه لا وجود لحياة خارج الحياة الدينية، لأن الدين وحده هو المرجع الوحيد لتنظيم مجمل الشؤون الإنسانية لما فيه من أجوبة عن سائر الأسئلة التي تدور في ذهن الإنسان حول الشؤون الدينية.

في نفس الاتجاه يقول يوسف القرضاوي: "**كأن مدلول العلمانية عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع، وإبقاءه حبيسا في ضمير الفرد، لا يتجاوز العلاقة الخاصة بينه وبين ربه، فإن سمح له بالتعبير عن نفسه، ففي الشعائر التعبدية، والمراسم المتعلقة بالزواج والوفاة، ونحوها**" **(يوسف القرضاوي، 1997، ص 45)**، يرى القرضاوي أن العلمانية وإن فصلت الدين

عن الدولة، يضل الدين حبيسا في فكر الفرد لأنه لا يستطيع مرور علاقته بربه أو تجاوزها، إلا في الشؤون المتعلقة بالطاعة وشؤونه الخاصة، فتقسيم الحياة إلى نحوين ما هو متعلق بالدين وحارج الدين منطق غير إسلامي ليس له علاقة بالإسلام، فهو منقول من الغرب لم يكن هذا الشأن في الإسلام من قبل تقسيم الحياة، الإنسان والمؤسسات والحكومات على سلطة دينية و أخرى سياسية، وفصل في التسميات كذلك رجل دين رجل علم رجل سياسة، وفصل السلطات، لأنه لا يعرف في الدين الإسلامي، سياسة من غير دين ولا دين من غير سياسة ، فتربطهما علاقة تكامل ترابط لا انفصال، لأن الدين موجود في الحياة كلها مختلط بها متماسك كعلاقة الروح بالجسد، فلا وجود لجسد من غير روح ولا روح من غير جسد، وهكذا أيضا هي علاقة الدين بالسياسة والدين العلم فالكل يتنفس من منبع واحد هو الدين.

فالعلمانية لم تظهر في عالمنا العربي بصيغة أو بأخرى:"**إن العلمانية بصياغة غربية لم تنبت في أرضنا، ولا تستقيم مع عقائدنا ومسلماتنا الفكرية**" **(يوسف القرضاوي، 1997، ص 46)**، ظلت العلمانية في الاتجاه الأصولي، مصطلح دخيل عن العالم العربي الإسلامي، فمطالبها غير مطالب الدين الإسلامي، لأنها مصطلح غربي بامتياز، وكونها بزغت في العالم الغربي فحتما تناقض عقائدنا كمسليمين ومطالبنا وتشريعاتنا الدينية منها والفكرية.

في نفس السياق يرى الجابري، أن ثنائية الدين والدولة في الفكر العربي الحديث والمعاصر ثنائية لا مجال لها من الصحة، ولا تصح في العالم العربي لأنها مسألة مزيفة: "**إن الحاجة إلى الاستقلال في إطار هوية قومية واحدة، والحاجة إلى الديمقراطية التي تحترم حقوق الأقليات والحاجة إلى الممارسة العقلانية للسياسة، وهي حاجات موضوعية فعلا إنها مطالب معقولة وضرورية في عالمنا العربي، ولكنها تفقد معقوليتها وضروريتها، بل مشروعيتها عندما يعبر عنها بشعار متلبس كشعار العلمانية**" **(محمد عابد الجابري، 1996، ص 113)**، يتبين من نص الجابري، أن العالم العربي بحاجة إلى استقلال منظم يشمل كل الأقليات القومية، في ظل ديمقراطية تنادي بحقوق الإنسان، والواجب العقلاني للسياسة، وكلها مقبولة على الصعيد العالمي العربي، لكن إذا ربطت بشيء من العلمانية فقدت كل الحريات الديمقراطية.

لذلك ينادي الجابري بالديمقراطية والعقلانية قائلا في رأي أنه من الواجب استبعاد شعار العلمانية من قاموس الفكر القومي العربي وتعويضه بشعاري الديمقراطية والعقلانية فهما اللذان

يعبران تعبيرا مطابقا عن حاجات المجتمع العربي **(محمد عابد الجابري، 1996، ص 108)**، ما يريد الجابري أن يخلص إليه هو أن الفكر العربي مطالب بمراجعة مفاهيمه وجعلها موضوعية، ومن الواجب استبعاد شعار العلمانية من الفكر العربي وتعويضها بما يحفظ الوحدة العربية ولم الشمل العربي في ظروف ديمقراطية ومنطقية.

ونجد أن الدكتور محمد عمارة هو الآخر من معارضين العلمانية يعرفها قائلا:" **هي عزل السماء عن الأرض، وتحرير العالم والإنسان والاجتماع الإنساني من التدبير الإلهي ومن حاكمية السماء، بدعوى أن العالم مكتف بذاته، وأن الإنسان هو سيد الكون، يدير حياته بالعقل والتجربة دونما حاجة إلى رعاية أو تدبير من وراء الطبيعة وخارج العالم الذي يعيش فيه**" **(محمد عمارة، 2003، ص 07)**، يرى الدكتور محمد عمارة أن العلمانية، تفصل القدرة الإلهية عن البشرية في الأرض، محاولة قطع صلة الإنسان بربه وحرمانه من العناية الإلهية، داعية في شتى أشكالها أن الكون قائم بذاته، والإنسان من يسير الكون، بعقله فهو من يدبر أموره بنفسه.

خاتمة

خاتمة:

بناءا على ما سبق نستنتج أن عبد الوهاب المسيري واحد من المفكرين العرب حيث كان له نبض من جهود لا تعد ولا تحصى، فكان له مواقف السياسية في وقت مبكر جدا أو في عمر صغير، حيث ألف مجلة دمنهور الثانوية ومجلة الحائط.

كما شغل المسيري عدة مناصب كما يمتاز فكره بكثرة مؤلفاته وتنوعها وتأثر عبد الوهاب المسيري بعدة أساليب وشخصيات سياسية فالأسباب السياسية جعلته يسهب في دراسته للفكر الصهيوني واليهودي مثلا الحروب العربية الإسرائيلية وكذلك تأثر بعدة شخصيات عربية والتي منها جمال حمدان، كما تأثر بعدة شخصيات غربية منها إيميل جورج ونور الشريف في طريقة التفكير والنظر وكيفية التأمل في معلومات وتفسيرها وكذلك بالكافيين رايلي وبالماركسية أيضا.

وهناك أيضا شخصيات أخرى تركت أثرا نفسيا لدى عبد الوهاب المسيري والتي منها: ماكس فيبر، وروجي غارودي وعلي عزة.

بنى عبد الوهاب المسيري منهجه على أسس والتي منها:

- رفض العقل السلبي وتلقي العقل التوليدي.
- رفض الرصد المباشر وتبني النماذج كآداة التفسير.

واستطاع أن يقدم لنا دراسة جديدة مميزة عن غيرها حيث دخل في عمق الفكر الغربي وفي أسس الفلسفية التي تشيد عليه إيديولوجياته وقناعاته الفكرية وفي نفس الوقت حاول تقديم دراسة مقارنة بين الفكر الغربي والفكر العربي.

ومن هنا نستطيع أن نتساءل:

هل إستطاع الفكر العربي بصفة عامة تجاوز هذا التأثير السلبي الذي ابتكره الغرب في نفوسهم؟

وأيضا يؤكد المسيري بغير موضوع من كتبه ومقالاته أن الصهيونية في جوهرها: هي حركة لتخليض أوروبا من الفائض البشري اليهودي عن طريق نقله من أوروبا وتوطينه في أي منطقة أخرى وقد إستقر الرأي أن تكون فلسطين هي هذه المنطقة، نظرا لأهميتها الإستراتيجية وارتباطها في الوجدان الغربي باليهود.....

هذا بالطبع يقودنا إلى سؤال مهم: هل الدولة يهودية حقا؟

يبين المسيري أن الووحدة اليهودية العالمية فهو يعترض أن أعضاء الجماعات اليهودية في المعالم يشكلون وحدة واحدة إسمها الشعب اليهودي، وأن هذا الشعب اليهودي إكتسب هويته من العقيدة اليهودية التي لا تكتمل شعائرها إلا في أرض الميعاد.

يبرز المسيري هذه الرؤية بقوله: "إن موضوع نهاية إسرائيل متجذر في وجدان الصهيوني فحتى قبل إنشاء الدولة أدرك الكثير من الصهاينة أن مشروع الصهيوني مشروع مستحيل، وأن الحلم الصهيوني سيتحول إلى كابوس"

ومن هذا المنطلق نستخلص النقاط التالية:

- إستحالة تطبيق هذا المشروع لإعتبارات واقعية وموضوعية.
- سننيا وسبيا ستحول هذا الحلم إلى إنسداد في الرؤية مؤديا إلى مشاكل داخلي.

نتائج وتوصيات:

لقد توصلنا من خلال عملنا هذا على إستنتاج مجموعة من النقاط منها:

– أن القومية العربية ظهرت نتيجة عدة عوامل داخلية وخارجية.

– أن القومية العربية كانت في بداياتها مساهمة من خلال مناداتها بالإصلاحات، لكن تعصب الإتحاديين سرع بالتفكير بالإنفصال.

– سامت الدراسة في تعديل النظرية الإستراتيجية نحو العدو الصهيوني المتمثل (لدولة إسرائيل) وقدمت منهجا جديدا في معرفته.

– وضحت الدراسات مدى قيمة وأهمية مؤلفات وكتابات المسيري ودرها في تغيير الرؤية اللسائدة حول اليهود والحركة الصهيونية.

– بين الباحث في دراسته أهم ما توصل إليه المسيري من أفكار حول نهاية مشروف الصهيوني موضحا العلامات العشر لإرهاصات نهاية المشروع الصهيوني.

– طرحت الدراسة أهم النتائج التي قدمتها مؤسسات العلمية والبحثية في شؤون الصراع العربي الإسرائيلي.

أما التوصيات فهي:

إنشاء معاهد متخصصة في اليهودية الصهيونية وتاريخ إسرائيل وذلك من خلال:

– توجيه أنظار الدارسين والباحثين إلى إعادة قراءة ودراسة التجربة الإسرائيلية.

– تركيز الدهود نحو الدراسات المتنوعة عن اليهودية وفرقها والصهيونية والأحزاب التي غنبثقت عنها.

– إعادة تقييم مجمل الأبحاث والدراسات والرسائل العلمية التي كتبت عن الصهيونية وتاريخها، وكل مايتعلق بالكيان الذي مثلته ولا زالت تمثله (إسرائيل)

– عقد ندوات ومؤتمرات وحلقات بحث لمواصلة دراسات وأبحاث المسيري ورؤيته ومنظومته الفكرية التي جاء بها عن الحركة الصهيونية وكل ما يتعلق بها.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

المصادر:

1.عبد الوهاب المسيري، رحلتي الفكرية في الجذور والبذور والثمر، سيرة غير ذاتية وغير موضوعية، دار الشروق، ط4، 2009.

2.عبد الوهاب المسيري، الثقافة والمنهج، تح: سوزان حرفي، دار الفكر، ط4، 2013.

3.عبد الوهاب المسيري، الصهيونية في 100 عام، ثقافتنا للدراسة والبحوث، ع25، 1431-2010.

4.عبد الوهاب المسيري، في خطاب ومصطلح الصهيوني، دراسة النظرية التطبيقية، دار الشروق، القاهرة، ط2، 2005.

5.عبد الوهاب المسيري، العلمانية الجزئية والعلمانية الشاملة، دار الشروق، ط1، القاهرة 2002، مج:1.

6.عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ج1، دار الشروق 1999.

7.عبد الوهاب المسيري، العلمانية والحداثة والعولمة، دار الفكر، ط1، 2009.

المراجع:

1.إسرائيل شاحاك، تاريخ اليهودي والديانة اليهودية وطئ 3 سنوات، تر: صالح علي سوداح، دار النسيان، بيروت، ط1، 1995.

2.أحمد شحلان، إبن رشد والفكر العبري الوسيط، المطبعة الوطنية، مراكش، ط1، 1999.

3.أحمد بن عبد الله، العنصرية اليهودية وأثرها في المجتم الإسلامي والموقف منه، ج4، ط1، الرياض، مكتبة العبيكان، 1998.

4.أحمد عزت كريم، المجتمع العربي، دار النهضة العربية، بيروت، د ط، 1970.

5.أبو قاسم محمد الحسن الراغب الأصفهاني، مرادفات في غريب القرآن، تح: السيد كيلاني، د ط، دار المعرفة، لبنان، د ت، ج1.

6.أبو حسن علي حسن الحسني الندوي، ماذا أحشر العالم إنحطاط المسلمين، ط1، دار الغرب الجديد للنشر، القاهرة، 2009.

7. ثمار رودافسكي، موسى بن ميمون، تر: جمال الرافعي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2013.
8.جودت سعد، أوهام التاريخ اليهودي، ط1، دار الأهلية، د ت.
9.جمال الدين الشيال، محاضرات عن الحركات الإصلاحية والمراكز الثقافية في الشرق الإسلامي الحديث، نشر مؤسسة الهنداوي سي أي سي، 2017.
10.جابر عمر، حول القومية الوطنية، مطبعة النضال، دمشق، 1948.
11.جورج أنطونيوس، يقظة العرب تاريخ حركة العرب القومية، تر: ناضر الدين الأسد وإحسان عياس، ط8، دار العلم للملايين، بيروت، 1987.
12.حازم زكي نسيبة، القومية العربية، مكتبة الأسرة الأردنية، تر: عبد اللطيف شرارة، 2013.
13.الشيخ محمد مهدي شمس الدين، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1983.
14.سفر الحوالي، العلمانية نشأتها وتطورها وأثرها في الحياة الإسلامية المعاصرة، دار الهجرة، د ط، د ت.
15.ساطع الحصري، حول القومية الوطينة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1 ط2، بيروت، 1985-1987.
16.صابر طعيمة، تاريخ اليهودي العام، دار الجبل، بيروت، ط3، 1995.
17.صالح الرقب، واقعنا المعاصر، الجامعة الإسلامية، ط7، غزة، 2004.
18.علي جريشة، إتجاهات الكبرى المعاصرة، دار الوفاء، ط3، المنصورة، 1990.
19.عدنان محمد زرزور، جذور الفكر القومي والعلماني، ط3، دار الكتب الإسلامي، بيروت، 1999.
20.عمر فروخ، تجديد تاريخ تعليله وتدوينه، ط1، دار الباحث، بيروت، 1980.
21.عبد اللطيف زكي أبو هشم، مفهوم الصهيونية عند عبد الوهاب المسيري، جامعة الأزهر، غزة، 2013.
22.عبد الرزاق المقري، الجزائر والقضية الفلسطينية، دار الخلدونية، الجزائر 2013.
23.عزيز عظمة، العلمانية من منظور مختلف (الدين والدنيا في منظار التاريخ)، د ط، 2008.

24.فريديك هرتز، القومية في السياسة والتاريخ، تر: عبد الكريم أحمد، د ط، الهيئة العالمية لقصور الثقافة، القاهرة، 2011.
25.كامل سعفان، اليهودية في التاريخ والعقيدة، دار الإعتصام، مصر، ط1، 1981.
26.ماهر عبد القادر محمد، دراسات في فلسفة العصور الوسطى، 2000.
27.محمد حسني الهيكل، مصر لا لبعد الناصر، ط1، القاهرة، د ت، 1998.
28.محمد قطب، المذاهب الفكرية المعاصرة، دار الشروق، ط 9، القاهرة، 2001.
29.محمد عمارة، العلمانية بين الغرب والإسلام، دار الدعوة للنشر والتوزيع، ط1، الكويت، 2003.
30.محمد غزالي، حقيقة القومية وأسطورة البحث العربي، ط3، نهضة مصر للنشر والتوزيع، الجيزة، 2005.
31.محمد أركون، العلمنة والدين، دار الساقي للنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1996.
32.محمد عابد الجابري، الدين والدولة وتطبيق الشريعة، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1996.
33.محمد عمارة، الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، دار الشروق، القاهرة، ط1، 2003.
34.هاني الهندي، الحركة القومية العربية في القرن 20، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001.
35.يوسف القرضاوي، الإسلام والعلمانية وجها لوجه، ط7، القاهرة، 1996.

المجلات:

1. أشرف سعيد، إسرائيل تخلت عن المنظومة من النيل إلى الفرات وأبدلتها بإسرائيل إقتصاديا عبد الوهاب المسيري، مجلة العالم الإسلامي، ع1812، مكة ،السعودية، 2003.
2. جمال حمدان (اليهود أنروبولوجيا، تق: عبد الوهاب المسيري)، د ط، القاهرة، دار الهلال، ع542، فيفري 1996.
3. جمال خليفة، العلمانية وخطرها على المجتمعات الإسلامية، مدرس الدعوة الثقافية الإسلامية، كلية أصول الدين، أسيوط، ع4، 2021.
4. عبد العزيز بن مصطفى الكامل، قبل كارثة تضير ونفير، مؤسسة صلاح سليم، رياض، ع421.
5. عبد الحميد بن باديس، فلسطين الشهيدة، مجلة الشهاب، ج6، مجلد14، أوت 1938.

6. محمد الديميني، معركة مع الصهيونية بدأت في الغرب وليس في الشرق، عبد الوهاب المسيري، مجلة القافلة، مارس–أفريل، 2002.
7. يوسف طالبي، مسرح والسياسة بين بريشت وسعد الله ونوس، مجلة البيان، ع369، أفريل، 2001.

المعاجم:

1.إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط معجم اللغة العربية، إدارة العمل المجتمعات وإحياء التراث، المكتبة الإسلامية، إسطنبول، د ط، د س، ج2.
2.أحمد زك بدوي، معجم مصطلحات العلوم الإجتماعية، مكتبة لبنان للنشر، بيروت، د ط، 1982.
3.جورج طرابشي، معجم الفلاسفة، 2006.
4.جميل صليبا، المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والإنجليزية والفرنسية واللاتينية، دار الكتاب، بيروت، لبنان، 1972.
5.جوني منصور، معجم الأعلام ومصطلحات الصهيونية والإسرائيلية، المركز الفلسطيني في الدراسات الإسرائيلية، ط1، 2009.
6.جماعة من كبار اللغويين العرب، المعجم العربي الأساسي، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، د ط، د ت.
7.مجد الدين بن محمد بن يقوب الفيروز الأبادي، قاموس المحيط، د ط، د س.
8.مصطفى حسيبة، المعجم الفلسفي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2009.
9.مراد وهبة، معجم فلسفي، دار القباء الحديثة للطباعة والنشر، القاهرة، ط5، 2007.
10.مؤنس راشد الدين، قاموس المرام في المعاني والكلام، دار الراتب الجامعية، ط1، بيروت، 2000.

الموسوعات:

1.عبد الوهاب الكيالي، الموسوعة السياسية، ج2، ط2، لبنان، مؤسسة الدراسات العربية والنشر، بيروت، 1993.
2.عامر رشيد، الموسوعة الثقافية والسياسية الإجتماعية والإقتصادية العسكرية، ط1، دار المعارف، حمص، سوريا، 2000.

3.منير بعلبكي، موسوعة مورد العربي، دار العلم للملايين، ط1، 1990، ج2.
4.يوسف عبد، موسوعة الأديان السماوية والوضعية، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995.
5.هويدة الشوفي، موسوعة ستانفورد للفلسفة، الحكمة، 2019.

مذكرات:

1.أبرير حمودي، الحركة الوطنية الجزائرية وموقفها من القضية الفلسطينية، 1917-1962، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجيستير، جامعة الحزائر، 2001.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
الشكر والعرفان	
إهداء	
مقدمة	أ
الفصل الأول: السياقات المنهجية لموضوع البحث.	
المبحث الأول: مدخل مفاهيمي.	06
المبحث الثاني: السياق الكرونولوجي للفكر الفلسفي اليهودي.	14
المبحث الثالث: المفكر عبد الوهاب المسيري السيرة والفكر.	20
الفصل الثاني: الإتجاهات الكبرى للعلمانية والقومية في الفلسفة العربية المعاصرة.	
المبحث الأول: عوامل ظهور التيارات العلمانية والقومية في الفكر العربي المعاصر.	29
المبحث الثاني: القومية العربية ومشروع الدراسات الموسوعية للفكر الصهيوني.	41
المبحث الثالث: عبد الوهابي المسيري إتجاه معاداة الحركة الصهيونية.	47
الفصل الثالث: الصهيونية والصراع العربي اليهودي.	
المبحث الأول: الكتابات الفكرية والسياسية حول القضية الفلسطينية.	59
المبحث الثاني: مفهوم ما بعد الصهيونية عند عبد الوهاب المسيري.	65
المبحث الثالث: الفكر السياسي ونقد العلمانية المعاصرة عند عبد الوهاب المسيري.	71
خاتمة	79
نتائج وتوصيات	81
قائمة المصادر والمراجع	83
فهرس المحتويات	
ملخص	

ملخص:

لا أحد ينكر الجهد المعرفي والذي قدمه المسيري طيلة حياته الفكرية سواء الأمر يتعلق بجهوده في التعريف باليهودية والصهيونية أو ما يتعلق بنقد الحضارة الغربية أو حتى بعض إسهاماته الأدبية ذلك أن الرجل أبدع في تناوله لكثير من قضايا بنظرة إليها من زوايا مختلفة قد تكون أكثر وضوحا وأكثر تفسيرا لها من الزوايا الأخرى. وهذا الإبداع في تناول والتعامل مع هذه القضايا جعله حقيقة يؤسس نمط جديد من التفكير وتحديد الزاوية النظر النابعة عن الإدراك المجتمعات الإسلامية لتحيزاتها النابعة من الواقع التاريخي والإنساني، فضلا عن هذا فقد زود منظومات الفكرية العربية والإسلامية برسائل وآليات جديدة في التعامل مع الكثير من الظواهر الفكرية والثقافية وتنبيهه إلى الكثير من التحيزات المنتشرة في العديد من مصطلحاتنا العربية والإسلامية، مع فهم أعمق وأدق للمذاهب الغربية والحركات الصهيونية واليهودية ولكن إنتقد بأنه يستعمل الطابع الإختزالي لكثير من مصطلحات فيما يبدو إختزالا عند الطائفة هو بالنظر إلى المسيري الجوانب الكامنة فيها، وهذه مميزة النماذج التي أبدعها المسيري فهو بحين يتعامل مع هذه الظواهر: "فهو يستبعد بعضها باعتبارها غير دالة مترابطة"، ليقدم لنا بنية تصورية من خلالها نفهم كثيرا من العلاقات ونحاكم إليها باقي الظواهر أما تناولهم لكثير من الظواهر الفكرية تناولها تناولا فوقية متعاليا دون الخوض في تفسيراتها وجذورها الموضوعية فيظهر بها في الكثير من المصطلحات.

كلمات مفتاحية: عبد الوهاب المسيري، اليهودية، الصهيونية، القومية.

summary:

No one denies the cognitive effort that Al-Messiri made throughout his intellectual life, whether it is related to his efforts in defining Judaism and Zionism, or what is related to criticism of Western civilization, or even some of his literary contributions, because the man excelled in dealing with many issues by looking at them from different angles that may be clearer and more explanatory. her from other angles. This creativity in addressing and dealing with these issues made it a reality that establishes a new pattern of thinking and defining the angle of view stemming from the perception of Islamic societies of their biases stemming from historical and human reality, in addition to this it has provided the Arab and Islamic intellectual systems with new messages and mechanisms in dealing with many intellectual and cultural phenomena. And alerting him to many biases spread in many of our Arab and Islamic terminologies, with a deeper and more accurate understanding of Western doctrines and Zionist and Jewish movements, but he was criticized for using the reductive nature of many terms in what appears to be shorthand for the sect. When he deals with these phenomena: "he excludes some of them as not a coherent function," to present to us a conceptual structure through which we understand many of the relationships and judge the rest of the phenomena to them. Lots of jargon.

Keywords: Abd al-Wahhab al-Messiri, Judaism, Zionism, nationalism